جامعة الأزهر
Al-Azhar University

التناسب البلاغي، وأثره في اصطفاء الأساليب في سورة الفجر

إعداد
د/ نوره محمد مرسي
قسم البلاغة والنقد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر الشريف، مصر.

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

التناسب البلاغي، وأثره في اصطفاء الأساليب في سورة الفجر

نوره محمد مرسي

قسم البلاغة والنقد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر الشريف، مصر.

البريد الإلكتروني: nouraeiad79@azhar.edu.eg

ملخص البحث: تقوم فكرة البحث الذي جاء بعنوان التناسب البلاغي، وأثره في اصطفاء الأساليب في سورة الفجر، على دراسة سورة الفجر لتتبع الأساليب الواردة فيها حسب ترتيبها، وإبراز دور التناسب البلاغي في اصطفاء كل أسلوب في سياقه وتحليله تحليلًا بلاغيًا يكشف دقة انتظام الألفاظ، والآيات ،ودورها في مقاصد السورة طبقًا لمقتضى تناسب المعاني، والروابط التي تربط السابق باللاحق، وانتظمت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وثمانية مباحث ذيلت بخاتمة ،وفهارس فنية. المطلب الأول: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب القسم، والثاني: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب الاستفهام، والثالث: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب التوكيد، والرابع: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب الشرط بـــ " أمَّا"، والخامس: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب الخبري، والسادس: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب الشرط بـــ" إذا "، والسابع: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب التمني، والثامن: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب النداء، والمنهج المتَّبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي، ومن نتائجه اتسام السورة بالطابع الخاص للقرآن المكي، تناسب المعاني ،والألفاظ والأصوات مع مقاصد السورة، تعدد الأساليب البلاغية التي استدعاها التناسب البلاغي.

الكلمات المفتاحية: الفجر، التناسب، اصطفاء، أساليب، البلاغي.

Rhetorical proportionality - and its impact on the selection of methods in Surat Al-Fajr

Noura Mohamed Morsi

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Sohag, Al-Azhar University, Egypt.

Email: nouraeiad79@azhar.edu.eg

Abstract: The idea of the research, which came under the title of rhetorical proportionality, and its impact on the selection of methods in the Holy Qur'an "Surat Al-Fajr as a model", is based on the study of Surat Al-Fajr to track the methods contained in it in their order, and to highlight the role of rhetorical proportionality in the selection of each method in its context, and analyzed rhetorically reveals the accuracy of the regularity of words, verses and their role in the purposes of the sura according to the requirement of proportionality of meanings, and the links that link the former with the later, This study was organized in an introduction, a preface, eight chapters appended with a conclusion, and technical indexes. The first chapter: rhetorical proportionality and its impact on the selection of the swearing style, the second: rhetorical proportionality and its impact on the selection of the interrogative style, the third: rhetorical proportionality and its impact on the selection of the affirmation method, the fourth: rhetorical proportionality and its impact on the selection of the conditional method with "Amma", and the fifth: rhetorical proportionality and its impact on the selection of the expert style, And the sixth: rhetorical proportionality and its impact on the selection of the method of condition "Iza", and the seventh: rhetorical proportionality and its impact on the selection of wishful thinking, and the eighth: rhetorical proportionality and its impact on the selection of the

Vocative style , and the approach used in this research is the inductive analytical approach, and its results are characterized by the special character of the Meccan Qur'an, proportional meanings, words and sounds with the purposes of the surah, the multiplicity of rhetorical methods called by rhetorical proportionality.

Keywords: Al-Fajr, Proportionality, Selection, Styles, Rhetorical.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين المتحدي بكتابه الإنس والجن أجمعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء إلى يوم الدين.

وبعد

القرآن الكريم معجزة الله الخالدة إلى يوم الدين، قامت حوله العلوم الكثيرة لمدارسته ومنها الدراسات التي تكشف أسرار إعجازه من حيث دقة نظمه ومعانيه، وبلاغته، وفصاحته، كعلم التناسب أو المناسبة الذي يبحث في المعاني الرابطة بين الآيات بعضها ببعض، وبين السور بعضها ببعض لتستبين علل الترتيب فيها، وهناك الكثير من البحوث البلاغة عنيت بدراسة تناسب الألفاظ، والمعاني، وتناسب الأصوات، ولا شك في تنوع الأساليب التي تُبنى عليها المعاني طبقًا للمقاصد ومقتضيات الأحوال في جميع سور القرآن الكريم، ومنها سورة " الفجر"، التي لامست القلوب شأنها شأن سور القرآن الكريم وجذبتها للإيمان والتقوى، وخاطبت العقول ودعتها إلى التدبر والتذكر بهذه المشاهد المتنوعة، فمن مشاهدها المشاهد الرقيقة الندية في مطلعها، والمشاهد العنيفة المخيفة في حديثها عن أهوال القيامة ثم ختمت بالمشاهد الرخية المطمئنة في حديثها عن جزاء المؤمنين وكانت ذا إيجاز بديع في عرضها لمصارع المتجبرين من عظماء الأرض السابقين، وعالجت بعض الآفات الاجتماعية الشائعة حتى عصرنا هذا مثل عدم إكرام اليتيم، وأكل الميراث، وحبِّ المال، وبينت أن هذه الآفات سبب في عدم إكرام الله للإنسان في الدنيا مما يدعو إلى تجنبها وفي كل تعددت الفواصل بين الراء، والدال، والتاء حسب تنوع المعاني والمشاهد. فالسورة الكريمة صورة للتناسق الجمالي في التعبير القرآني بأساليب متنوعة ما بين قسم، واستفهام، وتوكيد، ونداء، وتمنٍ، وشرط كل هذا مما أثار في نفسي شغفًا إلى دراستها.

وقد وجدت في كتب التفاسير الجمة، وعلوم القرآن الملاذ الوافي لتكوين مخزون معلوماتي عن علم المناسبة وفهم السورة الكريمة ومقاصدها وأسرارها، وهناك دراسات بلاغية غزيرة تناولت التناسب البلاغي في عدد من سور القرآن الكريم منها:

١- بحث بعنوان وجوه التناسب البلاغي وأثره في المعاني في سورة الزلزلة، زمزم عبد المنعم شحاته – مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ، المجلد التاسع والثلاثون، العدد الخامس، ١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م.

٢- التناسب البلاغي في سورة الأعلى، أحمد حلمي عبد الحليم، مجلة كلية الآداب، جامعة المنيا، المجلد الخامس، العدد الخامس،٢٠٢٣م.

٣- التناسب البلاغي في سورة الشمس، عويض بن حمود العطوي، جامعة الملك سلمان، مجلة الكلية، العدد الأول، المجلد السادس والعشرون ١٤٣٥هـ.

٤- التناسب بين فواتح السور وخواتم ما قبلها دراسة مقارنة في جزء عم، رسالة ماجستير، محمد علي عبد المنعم الأبرش، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر.

وقد تناولت الدراسات السابقة التناسب البلاغي وتطبيقه على سور من القرآن وموضوع الدراسة هنا سورة الفجر.

ومن الدراسات التي تناولت سورة الفجر:

١- كتاب حركة المعنى في سورة الفجر دراسة بلاغية، للأستاذ الدكتور/ إبراهيم صلاح الهُدهُد، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة بالقاهرة، تناولت الدراسة سورة الفجر وبينت تحرك المعنى فيها ابتداء من القسم في أولها إلى آخر السورة الكريمة، وأوضحت أن السورة ذات مقصد واحد تدور تراكيبها عليه وهو إثبات الإياب والحساب، وأن المعنى تحرك في

الآيات التي تناولت قصص الأنبياء ثم في الآيات التي تحدثت عن عقاب الأمم بعد ذلك ثم في الآيات التي رصدت جرائم الإنسان في الدنيا إلى تدمير الكون حيث يحط المعنى رحالة عند حساب المؤمنين والكافرين، وبينت الدراسة أوجه التناسب والبلاغة في سورة الفجر مع اختلاف المنهج وخطواته وطريقة العرض في البحث الموسوم بالتناسب البلاغي وأثره في اصطفاء الأساليب في سورة الفجر.

٢- وبحث بعنوان سورة الفجر دراسة تحليلية، وليد عبد الحليم محمد، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، المجلد الثاني العدد الرابع، ٢٠١٨هـ، وضحت الدراسة ما في السور من بلاغة وإعراب وقراءات وتعرضت لأهم القضايا التي عالجتها السورة الكريمة. فمحور الدراسة التفسير التحليلي لها ودراستي توصلت بالتحليل البلاغي إلى حصر الأساليب الواردة في السورة الكريمة تناسبا مع السياق والمقام والمعاني السابقة واللاحقة .

٣- وآخر بعنوان سورة الفجر دراسة بلاغية تحليلية، أحمد فتحي رمضان، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، ٢٠٠٦م، تناولت الدراسة أوجه البلاغة في السورة بعد تقسيمها إلي سبعة مقاطع تربطها روابط معنوية تشكل وحدة متكاملة. وتعرضتُ في دراستي لبيان أثر التناسب بأنواعه في تخير الأساليب التي بنيت عليها المعاني في السورة الكريم من حيث المضمون والبناء الفني المعجز للسورة.

٤- وبحث تناول السورة من حيث الوظيفة الدلالية بعنوان الوظيفة الدلالية للصوائت والصوامت في سورة الفجر، حافظ سايح، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد الرابع، العدد الأول، جامعة محمد

البشير الإبراهيمي، الجزائر وقد حصرت الدراسة ما اشتملت عليه السورة من الحروف الصائتة والصامتة وأعداد تكرارهما واستنتجت الدراسة أن التنوعات الصوتية للسورة أحدثت تنوعات نغمية وموسيقية وإيقاعية تجعل القارئ خاشعًا عند التلاوة، ومنجذبًا نحو التفكر في الآيات. إلا إنني لم أجد دراسة على حد علمي تناولت الأساليب التي بُنيت عليها المعاني في السورة الكريمة واستدعاها التناسب فتناولتها من هذا الجانب، وقد اعتمدت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يقوم على استقراء آيات السورة الكريمة وتتبع الأساليب الواردة فيها حسب ترتيبها وإبراز دور التناسب في اصطفاء كل أسلوب، ثم تحليله تحليلًا بلاغيًا يكشف دقة انتظام الآيات، والجمل، والألفاظ مستعينة في ذلك بالمصادر، والمراجع التي تناولت السورة الكريمة بالتفسير والشرح، وقد انتظمت هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وثمانية مطالب ثم ذيلت بخاتمة وفهارس فنية. تناولت المقدمة أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج الدراسة، وخطة المنهج، ثم عرض للمطالب التي اقتضتها طبيعة الدراسة، وتناول التمهيد النقاط الآتية أولًا: مفهوم علم المناسبة وأهميته، فضل علم المناسبة، ارتباط علم المناسبة بعلم البلاغة، ثانيًا: الأساليب في اللغة والاصطلاح، ثالثًا: معنى الاصطفاء، رابعًا: حول سورة الفجر ترتيبها، عدد آياتها، وكلمها، وحروفها، والآراء في مكيتها أو مدنيتها، وفضلها، ومقاصدها.

المطلب الأول: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب القسم.

المطلب الثاني: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب الاستفهام.

المطلب الثالث: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب التوكيد.

المطلب الرابع: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب الشرط ب(أمَّا)

المطلب الخامس: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء الأسلوب الخبري.

المطلب السادس: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب الشرط بـــ "إذا ".

المطلب السابع: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب التمني.

المطلب الثامن: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب النداء.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

تمهيد

أولاً: مفهوم علم المناسبة، وأهميته:

مفهوم علم المناسبة:

قبل التعرض لمفهوم علم المناسبة الاصطلاحي نعرض تعريفها اللغوي في بعض المعاجم العربية، وقد تبين بالبحث أن مادة (ن س ب) تدور فيها حول القرابة، والمشاكلة، والمشابهة. فالنَّسب: نسب القرابات، وهو واحد الأنساب والنَّسبة، والنِّسبة، والنُّسب: القرابة، وقيل: هي في الآباء خاصة؛ وقيل: النسبة مصدر الانتساب؛ وفي التهذيب: النَّسب يكون بالآباء، ويكون إلى البلاد، ويكون في الصناعة.(١) وفي الصحاح قيل: يقال فلان يناسب فلان ونسيبه أي قريبه، وبينهما مناسبة أي: مشاكلة (٢).

واصطلاحًا: علم يبحث في المعاني الرابطة بين الآيات بعضها ببعض، وبين السور بعضها ببعض، حتى تعرف علل الترتيب لأجزاء القرآن(٣). كما عرفها ابن العربي في كتابه (سراج المريدين) بأنها "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني". (٤)

---

(١) لسان العرب لابن المنظور" مادة (ن س ب)، طبعة دار الحديث .

(٢) مختار الصحاح، للرازي مادة (ن س ب) تح/ يوسف الشيخ محمد، الناشر/المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت- صيدا، ط ٥ ١٤٢٠ -١٣٣٣م. والقاموس المحيط، للفيروز آبادي، مادة (ن س ب)، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف/ محمد نعيم العرق سوسي، طبعه٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٣) مصابيح الدرر في تناسب آيات القران والسور عادل بن محمد،١٨/١، نشر الجامعة الإسلامية ١٤٢٥هـ.

(٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ٣٦٩/٢، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م. نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.

فضل علم المناسبة وأهميته:

علم المناسبة علم شريف، قال عنه الفخر الرازي في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات، والروابط[١]. وقال عنه الزركشي: " واعلم أن المناسبة علم شريف، تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ..... ولهذا قيل: "المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول"[٢]. وقال في موضع آخر متحدثًا عن فوائده:" وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[٣]. وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب وذلك أنه يكشف طرق الإعجاز في القرآن، وهي طريقان الأول: نظم كل جملة على حيالها بحسب، والثاني:- نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب[٤].

ومرجع المناسبة في فواتح الآيات وخواتمها:

ترجع المناسبة بين الآيات إلى المعاني الرابطة بينها يقول الزركشي: "ومرجعها – والله أعلم – إلى معنى ما رابط بينها عام، أو خاص، عقلي، أو حسي، أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب، والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين ونحوه، أو التلازم الخارجي كالمترتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر"[٥].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن٢/٣٦٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٣٥/١، تح / محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ ١٣٧٦- ١٩٥٧، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى بابي الحلبي.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٣٦/١.

(٤) ينظر مصابيح الدرر ٢٨/١.

(٥) البرهان في علوم القرآن ٣٥/١ .

ارتباط علم المناسبة بعلم البلاغة:

وبهذا نجد أن علم البلاغة أكثر العلوم ارتباطا بعلم المناسبات أو التناسب فهناك الكثير من مباحث علم البلاغة عنيت بدراسة التناسب بين الألفاظ كالجناس، والمشاكلة، وتناسب المعاني بمراعاة النظير- وإن كان التناسب أعم من مراعاة النظير-، وبالطباق، والتشبيه، والاستعارة، كما أن هناك تناسبًا بالنغم الصوتي كما في السجع، وحسن التقسيم [١].

وبذا نلحظ أن للتناسب صورًا متنوعة في الألفاظ، والمعاني، والنغم، وكلها تعد من البلاغة إذا اقتضاها المقام، يقول ابن سنان: "ومن المناسبة أيضًا التناسب في المقدار، وهذا في الشعر محفوظ بالوزن.. وأما الكلام المنثور فالأحسن تساوي الفصول في مقاديرها"[٢]. وعقد ابن الأثير في كتابه بابًا عن المؤاخاة بين المعاني، والمؤاخاة بين المباني سماه التناسب بين المعاني[٣]. وهذا العلم هو الأداة الموصلة إلى معرفة تحقيق التلاؤم فيما بين المعاني ببعضها والألفاظ فيما بينها حسبما اقتضاهُ الحال، وهذا هو سر البلاغة، ومنتهى الفصاحة.

ثانيا: الأساليب :

الأساليب في اللغة: جمع ومفرده أسلوب وهو يعني: الطريقة، والفن، والمذهب، والنمط، وطريقة في الكتابة، فيقال: لكل أديب أسلوبه، وأساليب

---

(١) ينظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي ١٥/٤، ١٦ الناشر/مكتبة الآداب١٤١٧م-١٩٩٧هـ. النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، إسماعيل الجناحي ص٤٠ طبعة دار الطباعة المحمدية القاهرة ط١ ١٤٠٣هـ.

(٢) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ١٩٣/١ الناشر دار الكتب ط١ ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٣) ينظر المثل السائر في آدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير ١٥٣/٣، تح/ أحمد الحوفي، بدوى طباعة دار نهضة مصر.

القول: فنونه المتنوعة [١]. وفي الاصطلاح: " هو المنوال الذي ينسج فيه التركيب"[٢].

ثالثًا: اصطفاء:

الاصطفاء في اللغة: صَفْوُ الشيء بالفتح: خالصه، واصطفاه: فضّله واختاره [٣]، وفي التنزيل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤]، فمادته تدور حول الاختيار، والانتقاء بعناية.

رابعًا: سورة الفجر:

سُميت بالفجر لافتتاح السورة الكريمة بالقسَّم بالفجر قال تعالى:﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [٥].

ترتيبها: سورة الفجر العاشرة في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة الليل، وقبل سورة الضحى، أما في ترتيب المصحف الشريف فهي التاسعة والثمانون[٦].

عدد آياتها وكلماتها وحروفها: عدد آياتها تسع وعشرون آية في البصري وثلاثون آية في الكوفي والشامي، واثنتان وثلاثون آية في المدني،

---

(١) راجع مختار الصحاح، مادة (س ل ب)، والكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسين ٨٣/١ تح/ عدنان درويش، محمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة بيروت، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، احمد الفيومي، مادة (س ل ب)، نشر المكتبة العلمية بيروت.

(٢) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر. لابن خلدون، تح/ خليل شحاده، ٧٨٦/١ دار الفكر بيروت ط٢ ١٤٠٨هـ.

(٣) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، وآخرون، نشر دار الدعوة، باب الصاد.

(٤) سورة آل عمران آية ٣٤.

(٥) سورة الفجر آية ١-٢.

(٦) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري ٣٩٨/٣١، طبعة دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط ١ ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

والمكي[١]. وحروفها: خمس ومائة وسبعة وستون حرفاً، وكلمها مائة وسبع وثلاثون كلمة[٢]. والسورة مكية، وأكثر المفسرين والجمهور على هذا الرأي وهو الأصح[٣]. وقال علي بن أبي طلحة: مدنية ووافقه بعض العلماء والمفسرين على هذا الرأي.

مقاصد السورة الكريمة:

والقصد من السورة الكريمة يتمثل في الاستدلال على آخر سورة الغاشية من الإياب، والحساب، وأدل ما فيها على هذا المقصود الفجر، ثم ضرْب المثل لمشركي مكة في إعراضهم عن قبول رسالة ربهم بمثل عاد، وثمود، وفرعون، وإنذارهم بعذاب الآخرة، كما ترصد السورة الكريمة تصورات الإنسان غير الإيمانية، وسوء فهمه لاختبار الله بالنعم، والرد عليها ببيان الحقيقة التي تتبع منها هذه التصورات الخاطئة، وهي الجحود، وحب المال، والمتعة، ثم تبين ندمهم يوم القيامة على ما فاتهم من الأعمال النافعة لهم يوم القيامة، حيث صورت حالتهم في مشهد من مشاهد الآخرة المهولة، يظهر فيها المولى عز وجل. وتظهر الملائكة للحساب، كما تظهر جهنم للكافرين والعصاة ثم تُختم السورة الكريمة بنداء النفس المطمئنة بأن ترجع إلى رضوان الله وجناته [٤].

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي ١٨٩/٣ دار النشر مكتبة العارف – الرياض، ط١ ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.

(٢) فتح الرحمن في تفسير القرآن لمحي الدين المقدسي العليمي الحنبلي، ٣٥٤/٧ اعتنى به نور الدين طالب، دار النوادر، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

(٣) ينظر زاد المسير إلى علم التفسير للإمام عبد الرحمن الجوزي، ١٠٢/٦، طباعة المكتب الإسلامي، بيروت- ط٢، ١٤٠٤هـ.

(٤) ينظر الموسوعة القرآنية وخصائص السور، جعفر شرف الدين ، تح/ ابن عبد العزيز عثمان التويجري ،٢٣٣/١١،نشر دار التقريب ،ط١، ١٤٢٠هـ، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ، ٢١/٢٢، نشر دار الكتاب الإسلامي .

المطلب الأول

التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب القسم

ابتدأت السورة الكريمة بالقسم في قوله تعالى: "وَالْفَجْرِ"، ووقوعه في ابتداء السورة له أثره في النفس، وفي البدء به جذب لانتباه السامع لوقوع القسم على سمعه في شيء من الرهبة، فإذا حدث ذلك صحبه تهيؤ نفسي لتلقي ما يقال خاصة، والقسم في أوائل السور يعطيها نضرة في بهجتها ، ورونقًا في ديباجتها ، فتلمع الأقسام في قسمات السورة كالغرة البارقة (١) .

وقد كان التناسب في سورة الفجر سبيلًا إلى اصطفاء أسلوب القسم بالفجر و قصد به الاستدلال على آخر سورة الغاشية من الإياب، والحساب بالثواب، والعقاب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ (٢) وأدل ما فيها على هذا المقصود :الفجر بانفجار الصبح عن النهار الماضي بالأمس من غير فرق بين شيء من الذات، وانبعاث الناس من الموت الأصغر: النوم بالانتشار في ضياء النهار للمجازاة في الحساب(٣)، كما أن مقام سورة الفجر كان أيضًا داعيًا إلى إيثار أسلوب القسم؛ إذ هو مقام ضرب المثل لمشركي مكة في إعراضهم عن قبول رسالة ربهم بمثل عاد، وثمود، وقوم فرعون وإنذارهم بعذاب الآخرة، وفيها أيضًا تثبيت للنبي- صلى الله عليه وسلم- بوعده باضمحلال أعدائه، كما تعرضت السورة الكريمة لتصورات الإنسان غير الإنسانية بسوء فهمه لاختبار الله بالنعم حيث حسب مشركو مكة أن ما هم فيه من النعيم دليل على إكرام الله لهم، وأن ما فيه

---

(١) الواضح في علوم القرآن، مصطفي ديب البغا، محي الدين مستو، ص/٢١٠، نشر دار العلوم الإنسانية ، ط٢، ١٤١٨ ١٩٩٨ .

(٢) سورة الغاشية آية ٢٥-٢٦.

(٣) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ٣/١٩٠.

المؤمنون من خصاصة علامة على إهانتهم وفى ذلك بشرى للمؤمنين. والاستدلال على قضية ما، ولا سيما قضية البعث، والنشر، والحساب تتطلب إقامة للدليل المؤكد للحقائق المنكرة، وليس أدل تأكيدًا وأوثق لمنطوق الكلام من القسم، ولا سيما إذا كان المقسِم هو المولى – عزَّ وجلَّ– الخالق لهم من العدم وكان المُقسَم به هو الفجر الشاهد، والمشهود أمام أعينهم على انقضاء الليل، وظهور الضياء الذى تنتشر فيه المخلوقات، فهو مشاكل لنشور الموتى من قبورهم، وإذا لم تكفهم هذه الدلائل الكونية لإثبات بعثهم، وحسابهم فهناك أمثلة حية من الأمم السابقة من قوم عاد، وثمود، وفرعون. فتكذيب مشركي مكة، وإنكارهم رسالة محمد ناسبه التأكيد بالقسم لأنه من طرق تأكيد الكلام وقد أطال المولى – عزَّ وجل– فيه تشويقًا إلى المقسم عليه وفي ذلك تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم فالآيات تتضمن وعد الله سبحانه وتعالى بإهلاك مشركي مكة بأنواع العذابات التي أُهلكت بها هذه الأمم المعاندة؛ ومقام تثبيت النبي– صلى الله عليه وسلم– ووعده يستدعى التوكيد الذى فيه معنى التقرير، فكان في بدء السورة به مناسبة ظاهرة جريًا للكلام على مقتضى الحال.

وهناك مناسبة أخرى تُظهر تعلق سورة الفجر بسورة الغاشية حيث تضمنت السورة قسمة الناس إلى فريقين: أشقياء، وسعداء في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾[1] و﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾[2]، وذكرت سورة الفجر بعدها طوائف من الفريق الأول الطغاة، وهم قوم عاد، وثمود، وفرعون، وطوائف من المؤمنين الذين اهتدوا وشكروا نعمة الله– سبحانه وتعالى– وهم أصحاب الوجوه الناعمة يوم القيامة؛ فاشتملت كلتا السورتين على الوعد، والوعيد، وهما بدورهما يتطلبان تأكيدًا وتوثيقًا بالأقسام.

(١) سورة الغاشية آية٢.

(٢) سورة الغاشية آية٩.

والمتأمل في السورتين الكريمتين يجد مشابهة أيضًا بين قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [١] في سوره الغاشية وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ [٢] في سورة الفجر[٣] . فإذا جاء آخر سورة الغاشية لإثبات قدرة الله تعالى على البعث والحساب والنشر وذكر قبله مظاهر قدرته، وأمر رسوله بتذكيرهم، وعظتهم، وطمأنه بأنه واعظ، وناصح لهم، ثم حذّر من يخالف رسالته بأن من يفعل ذلك ليس له إلا العذاب الأكبر يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[٤] فالمقصد في سورة الغاشية منحصر في الوعيد بالحساب والجزاء بعد البعث والنشور، ووعد المصطفى وطمأنته بأنه ناصح ومبلغ وأن الله القادر الذى خلق الكون وما فيه ابتداءً، وبيده البعث بعد الموت، والنشور – قادر على هدايتهم أو إهلاكهم كما فعل بأسلافهم وكلها معانى تتطلب تأكيدًا فجاء بالقسم في سورة الفجر، وبالفجر دون غيره لكونه شاهدًا أمام أعينهم على قدرة الله فظهور النور يشابه وجود الحياة، وانقضاؤه يشابه الموت، وفى نور الفجر المتبلج طمأنة للمصطفى– صلى الله عليه وسلم – وبث للأمل في نفسه بأن خالقهم قادر عليهم، ومتول أمرهم سواء بالهداية، أو بالإهلاك.

وأما مناسبة سورة الفجر لاسمها، فسميت سورة الفجر؛ لافتتاحها بقوله تعالى:" **وَالْفَجْرِ**"، ولا خلاف في أن الواو للقسم بدليل جر الاسم بعدها[٥] وقد

---

(١) سورة الغاشية آية ١٧.

(٢) سورة الفجر آية ٦.

(٣) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، نشر دار الفكر المعاصر، دمشق ط٢، ١٤١٨هـ.

(٤) سورة الغاشية آية ٢٥-٢٦.

(٥) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني،١٣٥/١ لأبى محمد بدر الدين المرادي، تح/ فخر الدين قباوة وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ط١ ،١٤١٣هـ– ١٩٩٢م.

اتجه بها بعض المفسرين إلى تعظيم المقسم به[١] وهو الفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل وقت سريانه، وكلها أزمنة دالة على خالقها وفيها "دلائل بديع صنع الله –تعالى– وسعة قدرته فيما أوجد من نظام يظاهر بعضه بعضًا، وهذه فائدة دينية وفيها أيضًا فوائد دنياوية تستوجب بعثًا على شكر خالقها[٢]" ولابد أن يكون هناك تناسب ما استدعى الجمع بين هذه الأقسام، وله ارتباط أيضًا بمضمون السورة، ولكي نقف عليه نستعرض المراد منها، وأول ما يطالعنا من هذه الأقسام قوله: "والفجر" وهو في اللغة:– اسم لوقت ابتداء الضياء في أقصى المشرق من أوائل شعاع الشمس حيث يتزحزح الإظلام عن أول خط يلوح للناظر من الخطوط الفرضية المعروفة[٣]، وأما المراد منه فقد اتفق المفسرون على أن المراد به الفجر أو صلاة الفجر واختلفوا هل هو فجر عام أم هو فجر معين كيوم النحر أو يوم المحرم.[٤]

والثاني: قوله: "وَلَيَالٍ عَشْرٍ" قيل : إنها عشر ذي الحجة أو عشر المحرم أو أنها العشر الأواخر[٥] من رمضان وأقسم الله بها لاختصاصها بفضيلة ليست لغيرها حيث تتضمن أفعالًا معظمة من المناسك وقد روي عن الرسول– صلى الله عليه وسلم– في فضلها قوله: "ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام" يعني ذي الحجة، " قالوا: ولا الجهاد في

---

(١) ينظر الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، لعائشة بنت الشاطئ ٢٤٤/١ ط٣، دار المعارف.

(٢) ينظر تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب ١٤٨/٣١ نشر دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣١٢/٣٠ الدار التونسية ،١٩٨٤م.

(٣) التحرير والتنوير ٣١٢/٣٠ .

(٤) ينظر تفسير الرازي ١٤٨/٣١.

(٥) ينظر فتح الرحمن في كشف ما يلبس من القرآن، لزكريا أبي يحيي السنيكي،٦١٠/١، تح/ محمد علي الصابوني دار القرآن بيروت – لبنان، ١٤٠٣–١٩٨٣.

سبيل الله، قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء"[١] فتنكيرها من بين المقسم بهم لتعظيمها؛ فأفردت بالتنكير دونهم، وجاء ذكر الليالي متناسبًا مع الفجر؛ لأن كلمة الفجر تدل على معنى شق الظلمة، وعلى مجرد ابتداء نهاية الظلمة، فالليل متآخ مع الفجر في معناه، ولذا عدل عن التعبير بغيرها مثل " الصبح" إذ ليس فيه إلا إشارة إلى ابتداء النهار فقط ،فأما الفجر فيشير إلى انتهاء الظلمة، وابتداء الضياء والنور[٢].

ولعل هذا يفسر نزول سورة الفجر بعد سورة الليل وابتداء سورة الفجر في أقسامها بالفجر، وانتهاء الأقسام بالليل، فارتباط الفجر بالليل يكون حسيا كما سبقت الإشارة إليه، ويكون معنويًا؛ لكون كلًا منهما وقت لعبادات تنير القلوب٠ولا يخفي أيضًا أن كلمة الفجر زمن يدل على الضياء والنور، والليل زمن فيه دلالة على الظلمة، والسواد، وهذا من تناسب التضاد.

أما مناسبة القسمين السابقين لقوله: " والشفع والوتر" فقد كثرت أقوال المفسرين في تحديد المراد بهم حتى بلغت أكثر من عشرين قولًا، وقبل عرضها نستعرض معناها اللغوي:- قيل: الشفع في اللغة: خلاف الوتر وهو: الزوج، والشين، والفاء، والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين[٣] أما المراد بهما فقيل: أن الوتر هو المولى-عز وجل- والشفع: الخلق، وقيل: المراد الصلاة فبعضها شفع وبعضها وتر، وقيل: الشفع يوم التروية، ويوم

---

(١) صحيح ابن خزيمة ٢٧٣/٤ ،تح / محمد مصطفى الأعظمي، المكتبة الإسلامية، بيروت، كتاب المناسب، باب فضل العمل في عشر ذي الحجة.

(٢) ينظر المعجزة الكبرى لأبي زهرة٩١/١ ، نشر دار الفكر العربي.

(٣) كتاب العين لخليل بن أحمد الفراهيدي مادة (ش ف ع) تح /مهدي المخزومي وآخرون، نشر: دار الهلال.

عرفة ،والوتر يوم النحر، وقيل: الشفع اليومان من أيام التشريق، والوتر: اليوم الثالث[١] والأغلب أنها زمن لتناسب مع قبلها من الفجر، والليالي العشر، وما بعدها الليل إذا يسر وبالتأمل نرى هناك تقابلًا بين الفجر وركعتي الفجر وهو شفع، وبين ليال، والوتر الذي يكون فيه[٢] فالعطف فيها من عطف العام على الخاص ، وهذا من التناسب أيضًا.

وآخر القسم قوله تعالى: "والليل إذا يسر"، أقسم الله تعالى بالليل مقيدًا بالظرف " يسر" لكون سريانه يدل على تعاقبه مع النهار، الذي مفتتحه الفجر، وفيه فائدتان الأولى: لفت الأنظار إلى نعمة عظيمة، وهي نعمة تعاقب الليل والنهار وما فيهما من منافع للكون وساكنيه ما لا يخفى، والثانية أن ذلك بتدبير الله الحكيم[٣]، قال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا** ﴾[٤] وللمفسرين في تحديد الليل وسريانه قولان: فقيل: أن المراد بالليل العموم، والثاني: هي ليلة المزدلفة، والظرف" يسر" إما أن يقصد به المضي[٥] وإما الإقبال والإدبار– والأول أولى ليكون الليل بمضيه مقابلًا للفجر الذي فيه معنى إقبال النهار، ولا شك أن التقابل من التناسب وإسناد السرى إلى الليل لكونه زمان له على سبيل المجاز العقلي أو تشبيهًا له

---

(١) ينظر تفسير الرازي ٣٢٥/٥. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيه، ٤٧٦، تح /عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢) التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، علي صبح، ص ١٢٤، المكتبة الأزهرية .

(٣) ينظر تفسير الرازى١٥٠/٣١، والتفسير الوسيط لأبى الحسن النيسابوري ٤٩٦/٢٣، ط١، ١٤٣٠هـ.

(٤) سورة يونس آية ٦٧.

(٥) ينظر تفسير الرازى١٥٠/٣١، والتفسير الوسيط لأبى الحسن النيسابوري ٤٩٦/٢٣، ط١، ١٤٣٠هـ.

بالأحياء تجسيمًا لإقباله وإدباره ومن العلماء من جعله "كناية عن الجهاد والإغارة بالليل أي يسري بها".(١)

وهنا يظهر وجهًا للتناسب بين آيات القسم التي بدأت بالفجر- إن أريد به جنس الفجر- الذي يتضمن صلاة الصبح وهي أول الصلوات وختمه بقوله: "**وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**" المتضمن لآخر الصلوات (٢).

وبعد استعراض مدلولات آيات المقسَم به في السورة واستعراض أقوال المفسرين، نلحظ أن آيات القسم الأربع تدل معاني موادها على الزمن وهذا من مراعاة النظير، والفجر يرتبط بالضياء، والليل يرتبط بالظلمة ففيها ما يشبه التضاد، والشفع يرتبط بالزوج ،والوتر: بالفرد فينطبق عليها أيضًا التضاد٠ كما أن التعريف في" الْفَجْرِ " قوبل بالتنكير في و" وَلَيَالٍ عَشْرٍ" كما لا يخفى التناسب الصوتي الذي نبع من جرس السجع بالفواصل المتماثلة في الآيات الأربع في حرف الراء حتى قيل: إن نغم السجع كان مقصودًا في الآيات؛ حيث حذفت ياء" يَسْرِ " طلبًا للموافقة في الفواصل(٣) .

وقد ارتبطت الآيات الأربع ببعضها بحرف العطف" الواو" الذي يدل على وجود لحمه، ورابط بين ما جمعت بينهم من القسمات في اللفظ، والمعنى، وقد أشير إلى تحققه فيما سبق، كما يلحظ أن صدر القسم كان بالفجر، وآخره كان بالليل إذا يسر وفي السورة السابقة لسورة الفجر في النزول هي سورة الليل كان صدر القسم فيها هو الليل وآخره النهار الذي مفتتحه الفجر، وهذا من تناسب الفجر بالسورة السابقة لها في النزول، وكل

---

(١) ينظر: تفسير الماتريدي ٥١٦/١٠، تح/ مجدى باسلوم، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

(٢) التبيان في أيمان القرآن لابن قيم الجوزية ٤٠/١، تح/عبد الله بن سالم البطاطي، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، طبعة ١٤٢٩هـ.

(٣) ينظر المعجزة الكبرى لأبى زهرة ٢١٧/١ .

منها فيه رد لآخر القسم على أوله فالفجر يأتي بعده ليل لزومًا، وهذا بدوره يذكّر بالخالق المدبر للأكوان وما فيها وهو قادر على بعث المخلوقات بعد موتها، وتولي حسابها، وهذا من مناسبة سورة الفجر لآخر سورة الغاشية السابقة لها في الترتيب حتى أوثر في تقيد سريان الليل (إذَا) الدالة على اليقين في وقوع القيد" السريان" وأن سريانه محتوم بوجود الفجر.

وبعد استعراض وجه التناسب بين مقاطع القسم بالسورة السابقة نزولًا وترتيبًا وبالمقصد العام للسورة نستعرض تناسبًا بين مطلع السورة أي الأقسام وبين آخرها وهو أن المقسَم به خمسة مسميات الفجر، وليال عشر، والشفع، والوتر، والليل إذا يسر، والذي في آخر السورة أيضًا خمسة مسميات: دكت الأرض دكًا دكا، وجاء ربك، والملك صفًا صفا، وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان، وأنى له الذكرى، اشتملت على اليوم الآخر كله من أول النفخ في الصور، إلى نهاية الحساب وهي تقابل ما اشتمل عليه القسم المتقدم بالفجر ... من أمور الدنيا[1] وهي مع المقابلة أمور غيبية تحتاج الى سَوق الأدلة تأكيدًا لإثبات وقوعها بالقسم والقياس بأمور مشاهدة تكرر أمام الأعين في الدنيا صباحًا ومساءً.

وبعد اشتملت السورة – الكريمة – على خمسة أقسام، وتعدد الأقسام يوحى باستدعاء توكيدًا عظيمًا لأمر جلل، وهو أمر إثبات قدرة الله على البعث والحساب، وما يستتبعه من تثبيت المصطفى– صلى الله عليه وسلم– وطمأنته ببراعة استهلال الأقسام بالفجر، وانتظام معانيها، وألفاظها، وأساليبها ،وجرسها مع المقام.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي ٥٢٤/٨، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

المطلب الثاني

التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب الاستفهام

وأول ما يطالعنا من أساليب الاستفهام في السورة الكريمة قوله تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾[١] ووجه تناسب الآية الكريمة بالمقسَم به ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ وما بعده من تكذيب عاد، وثمود، وفرعون، فإنه لما تضمن القسم تعظيم ما جاء به سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- وما جاء به سيدنا إبراهيم- عليه السلام- عقَّب بقوله:" هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ"؛ لأنَّ عظمة المقسَم به يعرف بالنبوة، وذلك يحتاج إلى حجر يحجر صاحبه عن الغفلة، واتباع الهوى، ويحمله على اتباع الرسل لئلا يصيبه ما أصاب مَن كذَّب الرسل[٢].

وجملة الاستفهام معترضة بين المقسَم بهم، وجواب القسم أو دليل جوابه.والاستفهام تقريري، واختص بـــ" هل" دون غيرها من الأدوات الدالة على التصديق؛ لأن الأصل في هل أن تدل على التحقيق إذ هي بمعنى قد[٣] والاستفهام بـــ" هل" الدالة على التحقيق يناسب تحقيق عظمة المقسم به " الْفَجْرِ" وما بعده، وتحقيق التوكيد لما أقسم عليه[٤] ولا شك أن صوغ التحقيق بأسلوب الاستفهام أبلغ من الأسلوب الخبري؛ لما يقتضيه من إثارة لعقل السامعين، ولفت انتباههم واسم الإشارة "ذلك" عائد على ما ذكر مما أقسم الله

---

(١) سورة الفجر آية ٥ .

(٢) ينظر: التبيان في إيمان القرآن لابن قيم الجوزية ص ٤٨.

(٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ص ٧٨ إلى ٧٩، تح/ محمد عبد المنعم خفاجي- دار الجيل، بيروت، لبنان.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، ١٣٦/٥، تعليق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط١، ١٤٢١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب.

به في قوله: "**الْفَجْرِ**" بعده، ثم يأتي التنكير في "قسم" مؤكدًا لعظمة المقسم به أي: قسم كاف ومقنع للمقسم له، إذا كان عاقلًا أن يتدبر بعقله، والمعني: هل في ذلك تحقيق لما أقسم عليه للسامع الموصوف بأنه صاحب حجر: أي: عقل؛ وأنما سمى العقل حجرًا لأنه يحجر صاحبه عن ارتكاب ما لا ينبغي ويمنعه عن المكابرة، فيعلم أن المقسِم بهذا القسم صادق فيما أقسم،(١) فالتقرير المقصود بالاستفهام مقصود به حمل الخاطئين على الإقرار بما يعرفونه من ثبوت عظمة المقسِم، والمقسَم به؛ حتى يحملهم هذا بدوره على اتباع الرسول – صلى الله عليه وسلم، وصيغة الاستفهام مع إفادتها التقرير، هي أرق حاشية؛ حيث تتناسق مع هذا الجو الهامس الرقيق(٢) ألا ترى في اختصاص الاستفهام بـــ"هل" مزية؛ لأنها انفردت بإفادة التصديق وجوابها يكون "بنعم" في الإثبات ويمتنع معها ذكر معادل فليس أمام المخاطبين إلا الإقرار بما يثبته القسم، وإن قصد بها معنى مجازي وهو التقرير– فهناك علاقة بين مجازيتها هنا، وأصل وضعها، فبالإضافة إلى إفادتها تحقيقًا، وتقريرًا (نجد فيها أشياء أخرى بعد ذلك، ففيها إثارة هذا السؤال الذي يلفت الوجدان إلى التفكير، والغوص في الموقف والبحث عن وجه الصواب)(٣) فيما سيق القسم لأجله في السورة الكريمة والسورة السابقة لها.

ومن البلاغة العالية في الآية الكريمة تخير لفظ "القسم" دون غيره مثل الحلف مثلًا؛ لأن القسم لليمين الصادقة حقيقية أو وهمًا، والحلف لليمين

---

(١) ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣١٦/٣٠.

(٢) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه د/ عدنان محمد زرزور، ص ٢٧٤– ط٢، ١٤١٩هـــ دار القلم.

(٣) ينظر دلالات التراكيب دراسة بلاغية، د/ محمد محمد أبو موسى ص ٢٢٠، مكتبة وهبة ط٤، ١٤٢٩هـــ١٩٩٢م.

الكاذبة مع إطلاقها وتستخدم في مواقع الصدق الحقيقي أو ما كان مبعثه الاعتقاد المجرد، بينما يختص الحلف بالحنث في اليمين[١]، وأورد أبو هلال العسكري فرقًا بين القسم، والحلف فقال: (القسم أبلغ من الحلف؛ لأن معنى قولنا: أقسم بالله أنه صار ذا قسم بالله، والقسم: النصيب والمراد أن الذي أقسم عليه من المال أو غيره قد أحرزه، ودفع عنه الخصم بالله والحلف من قولك: سيف حليف أي: قاطع ماض، فإذا قلت: حلف بالله، فكأنك قلت: قطع المخاصمة بالله)، فالأول أبلغ؛ لأنه تضمن معني الآخر مع دفع الخصم، ففيه معنيان.

وقولنا: حلف يفيد معنى واحد وهو قطع المخاصمة فقط[٢] ثم نرى في الكناية بقوله:"لِذِي حِجْرٍ" عن العاقل جمالًا آخر؛ إذ توحى أن العقلاء من شأنهم أن يدركوا عظمة المقسِم وقدرته والمقسَم به، وتستلزم نفي الآدمية عمن غفل عن إدراكها٠ والخلاصة أن الأقسام في أول السورة دلت على عظمة الخالق، والمخلوق كدلائل على قدرته، ووحدانيته – سبحانه– وتقريرًا، وتأكيدًا لها انتظم أسلوب الاستفهام التقريري بعدها حتى يصل بنفوس المكابرين إلى الإذعان واليقين.

ومن أساليب الاستفهام في السورة الكريمة أيضًا قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾[٣]، وبتأمل وجه مناسبة الآية الكريمة لما قبلها نجد أن المولى– سبحانه وتعالى– أقسم بالفجر وما بعده لإثبات أن كفار مكة سيعذبون، ثم

---

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية د/ عبد العظيم المطعني،١٧٣/١ مكتبة وهبة ط١، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م.

(٢) الفروق اللغوية، أبي هلال العسكري، ص ٥٦. تح/ محمد إبراهيم سليم، نشر دار العلم و الثقافة والتوزيع، مصر– القاهرة.

(٣) الفجر آية ٦ .

انتقل في هذه الآية الكريمة إلى إثبات عذابهم بما حصل لأسلافهم من عاد، وثمود، وفرعون[١] وصيغ أسلوب الاستفهام بالهمزة الداخلة على "لم"، فأفاد الاستفهام التقرير، ومن معاني التقرير: التحقيق والتثبت، وإلجاء المخاطب إلى الإقرار بأمر يعرفه[٢] قد استقر عنده ثبوته، أو نفيه (والمخاطب به سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- تثبيتًا له ووعدًا له بالنصر) [٣] ومقام تثبيت النبي، ووعده يقتضي التقرير، وقد جاء مصاحبًا للاستفهام لفتًا لوجدانه – صلى الله عليه وسلم- إلى التفكير فيما فُعِل بقوم عاد، وثمود، وفرعون لاشتراك كفار مكة معهم في الكفر والعناد، فالله سبحانه كفيل بكفار مكة كما تكفل سبحانه بمن سبقهم بأنواع العذابات. وفي الآية الكريمة تعريض أيضًا بالمعاندين بالإنذار بمثله، فإن فيما فُعِل بهذه الأمم السابقة موعظة، وإنذار للقوم الذين فعلوا مثل فعلهم من تكذيب رسل الله، قصد به تقريب وقوع ذلك، وتوقع حلوله؛ لأن التذكير بالنظائر واستحضار الأمثال يقرب إلى الأذهان الأمر الغريب الوقوع؛ لأن بعد العهد بحدوث أمثاله ينسيه الناس، وإذا نُسى استبعد الناس وقوعه؛ فالتذكير يزيل الاستبعاد.[٤] فالمولى – سبحانه- ذكّر على طريقة الاستشهاد ما وقع من عذابه على بعض طوائف الكفار تخويفًا للكفار في عهد سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم- أن يصيبهم مثل ما أصاب الأمم الثلاثة السابقة بسبب كفرهم، وفي ذلك تثبيت للنبي، وبث للطمأنينة في نفس المصطفى بذكر النظائر أمثال كفار مكة- وإن بَعُد

---

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور جعفر شرف الدين ٢٣٩/١١.

(٢) ينظر: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص٣٠٧/٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ومغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الانصاري، ٢٦/١، تح/ مازن مبارك، محمد على حمد، الناشر/ دار الفكر دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.

(٣) التحرير والتنوير ٣١٧/٣٠.

(٤) التحرير والتنوير ٣١٧/٣٠.

عهدهم- فناسب صوغ المعنى على طريقة الاستفهام التقريري والمعنى: (ألم تعلم يا محمد علمًا يقينًا جاريًا مجرى الرؤية في الجلاء، والوضوح أي: قد علمت بإعلام الله لك، وبالتواتر أيضًا كيف عذَّب ربك عادًا، ونظائرهم فسيعذب كفار قومك لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي) فالرؤية في قوله: (تَرَ) يجوز أن تكون علمية تشبيهًا للعلم اليقيني بالرؤية في الوضوح، والانكشاف، ويجوز أن تكون بصرية والمعنى: ألم تر آثار ما فعل ربك بعاد.(١)

ومن جماليات التناسب في الآية الكريمة العدول عن اسم الجلالة (الله) إلى التعريف بالإضافة في قوله:" رَبُّكَ" إلى ضمير المخاطب يعود على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم-، لإعزازه وتشريفه، وللإشعار بالولاية والتأييد(٢). واختلف المفسرون في تحديد جواب القسم في السورة الكريمة بين أن يكون محذوفًا فيكون قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾وما بعده من ذكر الأمم الثلاثة دليل الجواب إذ يدل على أن المقسم عليه من جنس ما فعل بهذه الأمم، وهو الاستئصال الدال عليه قوله: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾(٣) وتقدير الجواب: ليصبن ربك على مكذبيك سوط عذاب كما صب على عاد، وثمود، وفرعون، وإما أن يكون الجواب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ فيكون قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾تمهيدًا للجواب قدم عليه؛ زيادة في التشويق إلى تلقيه، وإيذانًا بجنس الجواب قبل ذكره؛ ليحصل بعد ذكره مزيد

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن، ١٠٤/٣١، التحرير والتنوير ٣١٨/٣٠.

(٢) التحرير والتنوير ٣١٨/٣٠.

(٣) ينظر المرجع السابق.

من تقرره في الأذهان،[1] ثم وصف عاد بقوله تعالى: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ وعاد هم قوم سيدنا هود- عليه السلام-، وأما إرم فاختلف فيها على ثلاثة أقوال الأول: أنها اسم لقبيلة عاد الأولى، والثاني: أنها اسم لبلدة وهي الإسكندرية أو دمشق، الثالث: أنها ليست اسم لبلدة، ولا قبيلة بل هي لقب لعاد كان يعرف به[2] .

أما " العماد" ففي المراد به قولان الأول: أن العماد عمود غليظ طويل يقام عليه البيت يركز في الأرض أو يقام عليه أثواب الخيمة أو القبة، ويسمى دعامة فيكون وصف عاد – المراد بها قبيلة سيدنا عاد- على سبيل الاستعارة بتشبيه القبيلة القوية بالبيت، وإطلاق العماد على القوة مشهورًا عند العرب نحو قول عمرو بن كلثوم: ونحن إذا عماد الحي خَرَّت على الأحفاض نمنع من يلينا[3]، والثاني: أن يكون المراد الأعلام التي بناها قوم عاد في طريقهم، ليهتدي بها المسافرون والتي ذكرت في قوله الله تعالى على لسان نبيهم مقرعًا لهم: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾[4] فيكون وصف عاد به كناية عن قوتها، وشهرتها[5]، أو كناية عن الغنى

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣١٧/٣٠.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، ٤٠٥/٢٤،،تح/ أحمد محمد شاكر نشر/مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم، جمع وتحقيق إيميل بديع يعقوب، ٧٥/١ دار الكتاب العربي، ط٢ ،١٤١٦هـ-١٩٩٦م، وشرح المعلقات السبع للزوزني٢٢٤/١، دار إحياء التراث، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٤) سورة الشعراء آية ١٢.

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٣١٩/٣٠.

والبسطة[1]، وفيه تثبيت للنبي – صلى الله عليه وسلم–؛لأن المعنى المراد أن الله قد أهلك قومًا هم أشد من قومك الذين كذبوك فلا تيأس من عنادهم، قال الله تعالى: " **كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ** "[2] وفيه أيضًا تخويف، وإنذار لمشركي مكة إذا أهلك الله من هم أشد منهم قوة وآثارًا في الأرض قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً** ﴾[3] .

وبعد فالآية الكريمة أولى الآيات التي عرضت إشارة سريعة لمصارع الأمم السابقة بقصص موجز يمتزج فيه الإيقاع القصصي مع الإيقاع الصوتي في الفاصلة التي انتظمت على حرف الدال فأثارت نغمًا موسيقيًا في سياق القص للأحداث يتضمن تخويفًا وتحذيرًا تناسبًا مع السياق، والمقام الذي استدعى نظم الآيات على أسلوب الاستفهام التقريري، أما إيثار صياغة الاستفهام على الأسلوب الخبري لأن المقصود التفكر والاعتبار بحال المهلكين السابقين، والاستفهام بما فيه من الإثارة الذهنية أدل على ذلك، وأما كونه تقريريًا، لأن الأمم المضروب بها المثل(عاد، وفرعون، وثمود) معلومة للمنافقين، ومعلوم ما حَّل بهم من الهلاك والعذاب، وإنما قُصِد تثبيت المصطفى– صلى الله عليه وسلم– ووعده بالتأييد والنصر على من كذبوه، وعاندوه، والتعريض بهم، فليس هم كـــ عاد، ولا ثمود، ولا قوم فرعون قوة ولا آثارًا في الأرض.

قال تعالى: ﴿ **الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ** ﴾ ووجه تناسب الآية مع ما قبلها أن أمر عاد كان أعجب، وقصتهم أنزه، وأغرب، فكان بالبدء بهم تخويف وردع

---

(١) التفسير المنير للزحيلي ٢٢٢/٣٠.

(٢) سورة محمد آية ١٣.

(٣) سورة الروم آية ٩.

لكفار مكة واستدلال لهم على أن الله أهلك من هم أشد من قومهم قوة ونكالًا[١]، ومن تناسب اللفظ مع المعنى المراد تعريف المسند إليه باسم الموصول "التي" قصدًا إلى تفخيمه، وتهويل أمره مع زيادة تقريره، وتوضيح أمره، على اختلاف ما يعود اسم الموصول عليه حيث قيل: هو صادق على "عاد" بتأويل القبيلة، كما وصفت بذات العماد.

"والخلق" معناه: التقدير، والصنع، وبنى للمفعول لإرادة التعميم، والضمير فيها إما عائد على (عاد) باعتبار القبيلة، وهم عاد الأولى، وإما على " إِرَمَ " باعتبار البلدة، والمعنى: لم يخلق مثلها في العظم ،والبطش، والأيد، فقد روى أنهم كانوا طوالًا شدادًا حيث بلغوا اثنى عشر ذراعًا طولًا في السماء، وقال آخرون أن الضمير يعود على العماد، والمعنى: ذات العماد التي يخلق مثلها في البلاد أي: مثل الأعمدة، وهو ضعيف؛ لكون اسم الموصول للمفردة المؤنثة والعماد للمفرد المذكر وكذلك عود الضمير على " إِرَمَ " باعتبار البلدة التي قيل عنها: أنها دمشق، أو الإسكندرية، هو ضعيف أيضًا؛ لأن بلاد عاد التي وصفها الله بقوله:﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ ﴾ قالوا في معنى الأحقاف: جمع حقف وهو ما انعطف من الرمل، وانحنى وليست الإسكندرية، ولا دمشق بلاد الرمال، بل ذلك الشَّحْرَ من بلاد حضر موت، وما ولاها[٢].

وعرفت البلاد بـــ (أل) للاستغراق العرفي أي لم يخلق مثلهم في بلاد العرب وقبائلهم[٣]، ويحتمل أن يكون التعريف فيها للجنس، والمعنى: لم يخلق مثلها في الأرض، ولما كان المقام مقام تخويف لأهل مكة بما فعل الله-

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٣١٩/٣٠، نظم الدرر ٤١٦/٨.
(٢) الطبري ٤٠٧/٢٤.
(٣) التحرير ٣١٩/٣٠.

تعالى- بالأمم السابقة وكيف أهلكهم الله بسبب كفرهم وتكذيبهم برسلهم، كان في البدء بعاد أولى هذه الأمم وهم أطول أعمارًا من كفار مكة، وأشد منهم قوة مناسبة ومطابقة لمقتضى حالهم، ولما بدأ بهم لعجيب أمرهم، وغرابة قصتهم، ثنى بأقرب الأمم إليهم زمانًا وأشبهم شأنًا حيث أترفوا بما حباهم الله به من الجنات، والعيون، والنخيل، فجعلوا موضع ما لزمهم من الشكر الكفر، واستحبوا الكفر على الإيمان مع ما في آيتهم وهي الناقة من عظيم الدلالة على قدرة الله(١) .

ولما اجتمعت عاد، وثمود في إنعام الله عليهم بنعم خارقة، ومقابلتها بالكفر جمع بينهم بطريق العطف؛ لوجود المناسبة، والتقدير: وكيف فعل بثمود و(ثمود)، هم قوم سيدنا صالح – عليه السلام – سميت باسم جدهم (ثمود) كانوا يسكنون بين الحجاز وتبوك، ويعبدون الأصنام ، وعرَّف ثمود باسم الموصول لجمع المذكر السالم في قوله: ﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴾ على تأويل بقوم ثمود، فلما وصفت عدل عن تأنيثه تفننًا في الأسلوب(٢) لقصد التفخيم والتعظيم.

"جَابُوا الصَّخْرَ" أي قطعوا صخر الجبال، وقيل: أنهم أول من نحت الجبال، والصخر، والرخام وبنوا ألفًا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة، و"**الْوَادِ**" علم بالغلبة على منازل ثمود، ويقال له واد القرى ويسمى أيضًا الحجر، وفيه لغتان: إما أن يكون آخره بالدال، وإما ياء ساكنة بعد الدال وقرأ بها القراء إلا أن القراءة بدون ياء مبنية على مراعاة الفواصل في قوله

---

(١) ينظر: نظم الدرر ٤١٧/٨.

(٢) التحرير والتنوير ٣٢٠/٣٠، والكشاف عن حقائق غوامل التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري ٧٣٦/٤، رتبه: محمد عبد السلام، طبعة ١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، دار الكتب العلمية .

تعالى:" وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ " بدون ياء[١]، وهذا من التناسب اللفظي بين الآية الكريمة وسابقتها، حيث أعطى الآيات جرسًا، وتنغيمًا وأضفى رونقه وبهاءه عليها. وذكر ثمود بعد عاد فيه زيادة تخويف لأهل مكة، وحث لهم على التدبر في حال أنفسهم، فلم يكن لهم مثل ما كان لعاد، ولا ثمود من القوة ولا الجاه، فماذا ينتظر أهل مكة ؟ وروى أن النبي- صلى الله عليه وسلم- مر بديار ثمود في غزوة تبوك فسجى ثوبه على وجهه، وأمر أصحابه أن يمروا بها مسرعين، وقال: لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفًا أن يصيبكم مثل ما أصابهم .[٢]

وقد سلك النظم القرآني أسلوب عرض يتضمن تخويفًا، وجذبًا للانتباه إلى جانب الهول الحاصل بالمعنى بذكر عاد ثم صفتهم ثم ثمود ثم صفتهم ثم فرعون وصفته في قوله تعالى: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴾ معطوفا على ما قبله، والمعنى : ألم تر كيف فعل ربك أيضًا بفرعون ذي الأوتاد، وفرعون هنا هو فرعون الطاغية الجبار فرعون سيدنا موسى -عليه السلام -، والأوتاد التي وصف بها قيل: إنها حقيقية ، فقد كان له أوتاد يعذب بها، كما فعل بماشطة ابنته، وآسيه زوجته.

ويضرب بالوتد المثل في الذل والصغار[٣]، وقيل: هي الأهرامات التي تشبه الأوتاد، ومنهم من حملها على الاستعارة المجازية، استعير فيها الأوتاد التي تشد أركان الخيام إلى الأرض فتثبتها لكثرة الجنود، والعساكر الذين

---

(١) التحرير والتنوير ٣٢٠/٣٠

(٢) ينظر التفسير القرآني للقرآن ،١٥٥٢/١٦ .

(٣) الكشاف ٧٣٦/٤، وعمدة الحافظ في تفسير أشرف الألفاظ، لابن السمين ٢٨٠/٤، تح/ محمد باسل عيون السود، نشر دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٣ هـ.

يشدون الملك ويثبتونه،[١] أو هو كناية عن كثرة الجنود، وكثرة خيامهم التي يأوون إليها.[٢] والراجح فيما فصله المفسرون هو المجاز؛ لأن المقام مقام تخويف بإهلاك الله لعظماء الأرض قوة، وجاه، وكونها حقيقية يعذب عليها فرعون من يخالفه فلا هول فيه لأنه ملك، وإما أن يكون له جنودٌ كثيرة وطدت أمره، ومهدت أسبابه، وثبتت ملكه ثم لم تذب عنه شيئا من عذاب الله فهذا هو الأمر الداعي للاعتبار، والتذكر، والرهبة.

فالآيات الثلاث من أول قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾إلى قوله: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ تلاحمت برباط العطف إذ في كل آية منها إشارة سريعة إلى مصرع متجبر غابر عصى الله؛ فهلك، فلا ضير بكفار مكة؛ فقد تولى الله أمر مَن هم أشد منهم قوةً، وآثارًا في الأرض وفي هذا تثبيت للنبي – صلى الله عليه وسلم – وبث للطمأنينة في نفسه؛ فالله – سبحانه وتعالى – قادر على هدايتهم فإن عاندوا فقد علموا ما فعل بأسلافهم، وآثار عاد، وثمود باقية، وشاهدة على طغيانهم، وفسادهم الذي صرح به الله تعالى في قوله: ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾الذين يحتمل أن يراد به فرعون، وقومه لأنه يليه، ويجوز أن يكون شاملًا لكل من تقدم ذكره وعلى الأخير يجوز فيه الرفع على تقدير "هم"، والنصب على الذم، والجر على كونه وصفًا للمتقدمين .[٣]

---

(١) ينظر الموسوعة القرآنية خصائص السور ،٢٥١/١١ .

(٢) أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف الخطيب، ٧٤٨/١، الناشر المطبعة المصرية ،ط ٦ ،١٣٨٣ – ١٩٦٤.

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٣٢١/٣٠ ، وتفسير الفخر الرازي ،١٥٤/٣١ .

وأصل الطغيان: شدة العصيان، والظلم. ومعنى طغيانهم في البلاد أن كل أمة من الأمم الثلاثة طغوا في بلدهم، ولما كان بلدهم هذه ضمن البلاد كان طغيانهم في بلدهم قد أوقع الطغيان في جميع البلاد؛ لأن فساد البعض يؤول إلى فساد الجميع بسَنّ سنن السوء، ولذلك كان الطغيان سببًا في كثرة الفساد، قال تعالى: ﴿ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾[1]، وإن قيل: كيف يكون الطغيان الذي هو مجاوزة الحد في العصيان والظلم سببًا في كثرة الفساد؟ قيل: إن الطغيان يجرئ صاحبه على دحض الحقوق، ويكون قدوة سوء لأمثاله وملائه، وذلك فساد عظيم، ثم إن الطغيان يثير الضغائن في نفوس من وقع عليهم الطغيان من الرعية، فيضمرون السوء، والكراهية للولاة فيتوجس الولاة منهم خيفة، ويظنون بهم السوء، وهذا يؤدي إلى تفرق قوة الأمة بدلًا من اتحادها لمواجهة أعداء الخارج؛ إذ أصبح لها أعداء في الداخل فيما بين الراعي والرعية، ولا شك أن هذا فيه فساد عظيم، فلا جرم أن كان الطغيان سببًا في كثرة الفساد[2] وكثرة الفساد سببًا في غضب الله عليهم، والله لا يحب الفساد فصب عليهم العذاب.

قال تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ وهذا يظهر مناسبة الآية لما قبلها، وحاصله أن العذاب الذي أصاب عاد، وثمود، وفرعون كان عذابًا مفاجئًا قاضيًا، فأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية، وأما ثمود فقد أخذتهم الصيحة، وأما قوم فرعون فحسبوا البحر منجزًا فما راعهم إلا وقد أحاط بهم، فناسب ذلك استعارة الصب لحلول العذاب دفعة وإحاطته بهم كما يصب الماء على المغتسل، أو يصب المطر على الأرض ووجه الشبه السرعة، والكثرة في كل.

---

(١) سورة الفجر آية ١٢.

(٢) ينظر التحريروالتنوير،٣٠/ ٣٢٢ .

والسوط في اللغة يعني: الخلط أو أن تخلط بين شيئين في إنائك، ثم تضربهما بيدك، وسميت هذه الآلة بذلك لأنها تخلط اللحم بالدم[١] وهى آلة تتخذ من جلود مضفورة تضرب بها الخيل للتأديب، وتحملها على السرعة وقد نص الزمخشري على أن ذكره هنا إشارة إلى أن ما حل بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعده لهم في الآخرة كالسوط إلى سائر ما يعذب به [٢] وهو تشبيه تمثيلي أو هو تشبيه بليغ طريقه الإضافة (إضافة الصفة إلى الموصوف) والمعنى: صب عليهم عذابًا كالسوط في سرعة الإصابة، [٣] ويمكن حمل الصب على الكناية عن الدوام، والسوط كناية عن الإيلام، والمعنى : عذبهم عذابًا دائمًا مؤلما[٤].

ومن دقة النظم وتناسبه العطف "بالفاء" في "فصب" للإشارة إلى أن العذاب كان عقب كثرة الفساد بلا مهلة، وأيضًا تخير "الصب" المؤذن بالشدة، والقوة معًا، وقد جمعت الآية الكريمة بين تثبيت المصطفى – صلى الله عليه وسلم– ومن معه من المؤمنين عندما أضاف "الصب" إلى ربك لما توحى الربوبية به من الأنس والراحة لكونها تومئ إلى أن فاعل ذلك هو ربه أي رب محمد – صلى الله عليه وسلم–. الذى شأنه أن ينتصر له، وهو مؤمّل بأن يعذب الذين كذبوه انتصارًا له انتصار المولى لوليه، وبين تخويف وإنذار من كذبوه بذكر الصب والسوط اللذان يوحيان بعذاب دائم لاذع إذ التعذيب به يقتضي تكرارا وترددًا ما لا يقتضيه السيف، ولا غيره.

---

(١)القاموس المحيط ، مادة (س و ط).

(٢) الكشاف / ٧٣٦.

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٣٢٢/٣٠ .

(٤) الإتقان في علوم القرآن ١٥٦/٣، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ٢٦٤/١ تح/ أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

كما أن هناك تناسبًا بين لفظة الصب وبين أنواع العذابات التي عُذِّب بها المذكورون من الريح، والصيحة، والغرق فكلها لا تؤدى إلى الهلاك إلا إذا توافرت فيها صفة الاشتمال، والإحاطة بالمعذبين، كما يحيط الماء بالمغتسل، أو كما يصب المطر على الأرض هذا شأن الأمم الثلاثة المكذبة، وشأن كل مكذب، وعاص يعاقب ويؤخذ أخذ عزيز مقتدر.

المطلب الثالث

التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب التوكيد

ورد أسلوب التوكيد في سورة الفجر في الآية الرابعة عشر، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾[١]، والجملة لا محل لها لأنها تعليل لما قبلها، وإنَّ حرف توكيد، (وربك) اسمها، وبالمرصاد جار ومجرور متعلقان بخبر إنَّ، والمعنى: أن الله لبالمرصاد لأعمال المكذبين فلا يخفى عليه أمرهم[٢]، والخطاب فيها للنبي – صلى الله عليه وسلم – تثبيتًا له، أو لكل من يتوجه إليه الخطاب[٣] ووجه تناسب الآية الكريمة مع السورة السابقة، وهي سورة الغاشية، أنه لما اختتمت الغاشية بقوله تعالى: " لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ " جيء بالتوكيد في قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ لتقرير المعنى في نفسه – صلى الله عليه وسلم– فربه الذى تعهده بالرعاية مترصد لهم ومجازيهم على كفرهم.

وأما وجه تناسب الآية مع الآيات السابقة عليها من سورة الفجر، فنجد أن الآيات السابقة من قوله تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ نجدها تناولت ما أُرسل على كل طائفة من العذاب، فعلل بهذه الآية الكريمة أخذه تعالى لكل ظالم، وانتقامه من المفسدين بأنه رقيب، فقال ممثلًا أن العصاة لا يفوتونه مؤكدًا تنبيهًا على أن أعمال العباد أعمال من ينكر ذلك، أو لا يخطر بباله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ أي لا يفوته شيء.[٤]

واختلف المفسرون في وقوع الآية الكريمة جوابًا للقسم في أول السورة في قوله تعالى: "وَالْفَجْرِ" أو أن جواب القسم محذوف تقديره: لتبعثن أو

---

(١) سورة الفجر آية١٤.

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٣١٧/٣٠.

(٣) التحرير والتنوير ٣١٧/٣٠ .

(٤) ينظر نظم الدرر ٤١٨/٨.

ليجازين أحدًا بما عمل بدليل تعديده ما فعل بالقرون الخالية، فعلى احتمال كونها جواب القسم تكون الآية الكريمة كناية عن تسليط العذاب على المشركين إذ لا يراد من الرصد إلا دفع المعتدى من عدو، ونحوه، وما بين القسم والمقسم عليه من آيات اعتراض تفننًا في نظم الكلام إذ قدم على المقصود بالقسم ما هو استدلال عليه، وتنظير بما سبق من عقاب أمثالهم من الأمم في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ الخ؛ وهو أسلوب من أساليب الخطابة، إذْ يُجعل البيان، والتنظير بمنزلة المقدمة، ويجعل الغرض المقصود بمنزله النتيجة، والعلة إذا كان الكلام صالحًا للاعتبارين مع قصد الاهتمام بالمقدم، والمبادرة به[1]، وقد ذكر الدكتور أبو موسى أن من التوكيد توكيدًا يأتي في الجمل التي كأنها نتائج لمقدمات، فيلفت إليها وكأنها هي المقصودة، والأهم، وموضع العناية في السياق.[2]

ونستعرض التوكيد في الآية على هذا الاحتمال وأداته. وردت الآية الكريمة مؤكدة بـــ "إن" التي تفيد توكيد الحكم بين اسمها، وخبرها وما بينهما من متعلقات، بالإضافة إلى التوكيد الذي قصد من القسم نفسه يقول صاحب الكتاب: " اعلم أن القسم توكيد لكلامك، فإذا حلفت على فعل غير منفي لم يقع، لزمته اللام والنون الخفيفة أو الثقيلة في آخر الكلمة" [3]، والتوكيد هنا له مذاق خاص، إذ قصد به التوكيد لأكثر من غرض ومعنى، فالآية تحمل معنى الوعيد، والتهديد لكل كافر، أو مفسد، والتوكيد يكسب المعنى قوة، ويزيده ثباتًا وتمكنًا في النفوس.

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٣٢٣.

(٢) خصائص التراكيب، أبو موسى، ص٩٨، مكتبة وهبة ط٧ القاهرة ، وراجع علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص١٧، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٤م.

(٣) ينظر الكتاب لسيبويه ٣/،١٠٤ تح/عبد السلام محمد هارون ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨.

ولا شك أن التوكيد يساق لما يقع في المستقبل، ففي الآية وعيد، ووعد باضمحلال أعداء النبي – صلى الله عليه وسلم–، بدليل الآيات المعترضة بين القسم، والمقسم عليه، والتي عرضت أنواع العذابات التي لاقتها الأمم السابقة، حتى صبَّ الله عليهم العذاب صبا، فصارت جمل الاعتراض كالاستدلال على الجواب، وكالتنظير بمثله، فكما قرر البلاغيون أن الاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد(١)، ومما يدل على أن التوكيد هنا لتوكيد الوعد لرسول الله – صلى الله عليه وسلم–، والوعيد للكافرين وغيرهم ما روى عن عمرو بن عبيد رحمه الله أنه قرأ هذه السورة عند بعض الظلمة، حتى بلغ هذه الآية، فقال: إن ربك لبالمرصاد يا فلان، عرَّض له في هذا النداء بأنه بعض من توعده الله بذلك(٢) ولما كان الخطاب في الآية الكريمة للنبي– صلى الله عليه وسلم– بدلائل الآيات السابقة في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ وقوله:﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ ﴾فإن المقام فيه تثبيت للنبي – صلى الله عليه وسلم– فإن وعد الله باضمحلال أعدائه فيه تثبيت له، ولاشك أن التوكيد يزيد المعنى ثبوتًا حتى يصل المخاطب لدرجة اليقين، ومما يدل على أن المقصود تثبيت النبي – صلى الله عليه وسلم– العدول عن صياغة المتكلم " إني " في الآية إلى اسم الجلالة "ربك"، للإيماء إلى أن فاعل ذلك ربه الذى من شأنه أن ينتصر له، فهو مؤمل بأن يعذب الذين كذبوه انتصارًا له، انتصار المولى لوليه، والمعنى: أن مولاك المدبر لأمر نبوتك، لا يفوته شيء، بل هو قادر، ومطلع على كل شيء(٣)

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، ص٢٤١، مكتبة لبنان، الناشرون بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

(٢) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، ٧٣٦/٤، رتبه محمد عبد السلام ، ط١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م دار الكتب العلمية.

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٣٢٣/٨.

فنلاحظ هنا أن التناسب بين هذه الآية، وسابقتها استدعى أسلوب التوكيد؛ لتوكيد الوعد للمصطفى تثبيتا له، وتوكيد الوعيد لكفار مكة، وتخويف غيرهم، فإذا علم السامع أن الله – تعالى– حاضر بعلمه في كل زمان ومكان ورقيب على كل إنسان، وأنه لا يفوته أحدًا من الجبابرة، والكفار، كان ذلك رادعًا له عن كفره، أو عصيانه، ولا شك أن التهديد والتخويف يتطلبان أسلوب، وصياغة تؤكد المعنى المهدد، والمخوف به كأسلوب التوكيد، وآثر النظم التوكيد بـــ(إنَّ) لأنه كما قيل: إن اجتمعت إن واللام كان بمثابة تكرير الجملة ثلاث مرات لأن وجود "إن" يعنى تكرار الجملة مرتين فإذا دخلت اللام، صار بمنزلة التوكيد ثلاث مرات"(١) .

هذا إذا كانت الآية جواب القسم، أما إذا كان الجواب محذوفًا فتقديره: ليعذبن، أو ليجازين أحدًا بما عمل وعلة حذفه أن يذهب الوهم فيه كل مذهب، فيكون أدخل في التخويف(٢)، فالمقام مقام تخويف كما ذكر، وهو يستدعي أسلوبًا مؤكدا لمعناه حتى يكون أكثر ردعًا، وأدخل في التخويف.

وقوله: "**لَبِالْمِرْصَادِ** "حمله بعض العلماء على المجاز، حيث شبه كونه – تعالى– حافظًا لأعمال العباد، ومراقبًا عليها، ومجازيًا على ما دقَّ، وجلَّ منها بحيث لا ينجو منها، بحال من قعد على الطريق مترصدًا لمن يسلكها ليأخذه، فيوقع به ما يريد، ثم أطلق لفظ أحدهما على الآخر، على سبيل الاستعارة التمثيلية(٣)، ومنهم من حمله على الحقيقة، وذكر في معناه أربعة أقوال:

---

(١) معترك الأقران للسيوطي ٢٥/١ .

(٢) ينظر تفسير الفخر الرازي ١٥٢/٣١.

(٣) ينظر إعراب القرآن وبيانه ٤٧٢/١٠،٤٧١، والجدول في إعراب القرآن، محمد علي الصافي ٣٢٢/١٥ – ٢٢٣، ط ٣، ١٤١٧–١٩٩٥، دار الرشيد– دمشق، مؤسسة الإيمان، والتحرير والتنوير ٣٢/٣٠ ، والتفسير المنير ٢٢٢/٣٠.

الأول: أن المولى – عز وجل– يسمع ويرى، وقيل: من وراء الصراط جسور: جسر عليه الأمانة، وجسر عليه الرحم، وجسر عليه الرب –عز وجل–.

الثاني: قيل: يأمر الله تعالى بكرسيه، فيوضع على النار، فيستوي عليه، ثم يقول: أنا الديان وعزّتي، وجلالي لا يتجاوزني اليوم ذو مظلمة بظلامته، ولو ضربة بيد.

الثالث: إن لجهنم ثلاث قناطر: قنطرة فيها الرحم، وقنطرة فيه الأمانة، وقنطرة فيها الرب – تعالى– وهي المرصاد لا ينجو منها إلا ناجٍ فمن نجا من ذينك لم ينج من هذا.

الرابع: وقيل: إن لجهنم سبع قناطر، والصراط عليهن، فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى، فيقول: قفوهم إنهم مسئولون فيحاسبون على الصلاة، وفي الثانية: يحاسبون على الأمانة، وأدائها، وفي الثالثة: يسألون عن الرحم، وفي الرابعة: يسألون عن شهر رمضان، وفي الخامسة: يسألون عن الحج، وفي السادسة: يسألون عن العمرة، وفي السابعة: يسألون عن المظالم فمن أتى بما سئل عنه كما أُمر جاز الصراط، وإلا حُبس، فذلك قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [1] وقد ذكر المفسرون أن الآية الكريمة كالتذييل، والتعليل يقول البقاعي: "علل أخذه لكل ظالم، وانتقامه من كل مفسد في قوله تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ بأنه رقيب،[2] والتذييل بطبعه يفيد تحقيقًا للمعنى السابق عليه، وزيادة في توكيده، وأما وجه كونها تعليلًا فإن ظهور العلة، والسبب في صورة مؤكدة، يجعل النفس مطمئنة لما أثارته عن علة المعنى، وهكذا نرى التناسب المعنوي بين الآية الكريمة، والآيات السابقة عليها تحقق بوقوع الآية الكريمة موقع العلة لما قبلها، وهو ما استدعى أسلوبًا بلاغيًا مقررًا للمعاني.

---

(١) ينظر الدر المنثور لجال الدين السيوطي ٥٠٨/٨، نشر دار الفكر بيروت.

(٢) نظم الدرر ٤١٨/٨.

المطلب الرابع

التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب الشرط ب(أمَّا)

ورد أسلوب الشرط في السورة الكريمة في الآية الخامسة عشر، في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ ووجه تناسب الآية الكريمة مع سورة الغاشية السابقة على سورة الفجر، أنه تعالى لما ذكر أن عادة هؤلاء الفرق كانت الطغيان، وذكر أن عادة الرب – سبحانه وتعالى– فيمن تولى وكفر أنه يعذبه، كما هدد به في قوله تعالى: ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [1] دلل على ذلك بما شوهد في الأمم السابقة في قوم عاد، وفرعون، وثمود في سورة الفجر في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ إلى آخر الآيات، وعلل هلاكهم بأنه لا يغفل في قوله: "إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ" ذكر هنا في الآيات الكريمة عادة الإنسان عند الابتلاء في حالة السراء، والضراء من غير تقيد بهؤلاء الفرق (عاد، وثمود، وفرعون) وإنما هي عادة الإنسان، من حيث هو إنسان فقال: (فأما الإنسان...) مشيرًا إلى جواب ما كانت الكفار تقوله من أنهم آثر عند الله من المسلمين، لا يساعد عليهم في الدنيا وتقلل الصحابة – رضي الله عنهم– في الدنيا مسببًا عما مضى عطفًا على ما تقديره: هذه كانت عادة هؤلاء الأمم، وعادة الله فيهم أنه إذا اختبرهم ليظهر شكرهم، أو كفرهم كان هذا حالهم.[2]

وحرف الشرط "أما" اتصلت بها "الفاء" الاستئنافية، ومفهوم كلام الزمخشري أنها عاطفة متصلة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ كأنه قيل:

---

(١) سورة الغاشية آية ٢٢ –٣٢–٢٤–٢٥–٢٦.

(٢) ينظر نظم الدرر ٤١٨/٨.

إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة، والسعي للعاقبة، وهو مرصد بالعقوبة للعاصي، فأما الإنسان فلا يريد ذلك، ولا يهمه إلا العاجلة، وما يلذه فيها(١) ومقتضى الظاهر أن الفاء تدل على أن الكلام الواقع بعدها متصل بما قبلها ومتفرع عليه ووجه تفريع الفاء في "فأما" على ما قبلها، أن الآيات السابقة وصفت النعم التي أنعم الله بها على الأمم السابقة، وهم بطرون بهذه النعم، ومعرضون عن طلب مرضاة الله، فعقَّب ذكر ما كانوا عليه، وما جازهم به من عذاب في الدنيا، باستخلاص العبرة من حالتهم، وهي تذكير المشركين بأن حالهم مماثل لحال السابقين في الترف، والطغيان، وتنبههم على خطأهم في توهمهم بأن الله جعلهم محل كرامة، فحسبوا أن إنذار الرسول – صلى الله عليه وسلم– إياهم بالعذاب ليس بصدق، إذ يخالف ما هو واقع لهم من النعمة، وإنها دليل على كرامتهم عند الله ، حتى نفوا أن تكون هناك حياة أخرى، وأن عطاء الله لعباده مقصور على الدنيا، وسول لهم هذا الوهم التكذيب بما أنذروا به من وعيد، وبما بُشّر به المؤمنون من ثواب في الآخرة وحصروا جزاء الخير في الثروة، والنعمة، وقصروا جزاء السوء على الخصاصة، وقتر الرزق، ففاء التفريع مرتبطة بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ** ﴾بما فيها من العموم الذي اقتضاه كونها تذييلًا(٢) والمعنى: هذا شأن ربك الجاري وفق علمه، وحكمته وأما الإنسان الكافر فيتوهم خلاف ذلك، معتقدًا أن النعم في الدنيا دليل الكرامة، وأن ضيق العيش دليل الإهانة، فجاءت الآيات لإبطال معتقد أهل الشرك، وأعلم الله رسوله – صلى الله عليه وسلم– والمؤمنين الحقيقة الحق، وذكرهم بأن الأحوال الدنيوية إنما هي

---

(١) ينظر الكشاف للزمخشري٤/٧٣٧، وإعراب القرآن وبيانه لمحى الدين درويش ١٠/٤٧٤.

(٢) ينظر التحرير والتنوير٣٠/٣٢٤، ٣٢٥ .

أعراض زائلة، فعقب الآية الكريمة بقوله: "كلا" ردعًا لهم، وإبطالًا لكلا القولين الصادرين عنهم وهذا هو وجه ارتباط الآية الكريمة بما بعدها أيضًا و"أما "حرف بسيط ، فيه معنى المجازاة ، مؤول بـــ (مهما يكن من شيء)، لأنه قائم مقام أداة الشرط، وفعل الشرط، وهو حرف توكيد وتفصيل[١] وليس التفصيل هنا في الآية الكريمة بمعنى تبين مجمل قبلها، بل هو تفصيل، وتقابل، وتوازن بين شيئين في ذوات وأحوال، والمفصل هنا أحوال الإنسان الجاهل، فصلت أحواله إلى حالة في الترف، والنعمة، وحالة في الضنك، والشدة، فالتوازن بين الحالين المعبَّر عنها بالظرفية "إذا" في قوله تعالى: ﴿إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ﴾ إلخ وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ إلخ وهذا التفصيل ليس من قبيل تبين المجمل، ولكنه تمييز، وفصل بين شيئين أو أشياء تشتبه أو تختلط[٢] وقُدم على الخبر، لأن المقصود التعريف بحاله عند الابتداء، وهذا من دقة النظم القرآني[٣] و" أل" في "الإنسان" للاستغراق العرفي، مرادًا به المشركون وهذا هو الغالب في إطلاق لفظ الإنسان في القرآن النازل بمكة، وقيل: أريد به معين، قيل: هو أمية بن خلف، أو أبو حذيفة بن المغيرة، أو عتبة بن ربيعة،[٤] وقيل: غيرهم، ولما تعرضت الآيات لإبطال معتقدًا سائدًا عند المشركين بذكر مماثله في الأمم السابقة قبلهم، أكَّد

---

(١) ينظر المقتضب للمبرد ٢٧/٣ تح/ محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، والجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ص٥٢٢ ــ

(٢) التحرير والتنوير ٣٢٨/٣٠، ٣٢٩.

(٣) نظم الدرر ٤١٨/٨.

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٣٢٦/٣٠، ودرج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني، ١٧٢٨/٤، دراسة وتحقيق/ إياد عبد اللطيف وآخرون ،ط١، دار الحكمة، ١٤٢٩هـــ- ٢٠٠٨م.

الخبر "بما" النافية في (ما ابتلاه) وابتلاه: أي اختبره، وامتحنه[1]، والابتلاء يكون بالخير، وبالضر؛ لأن في كليهما اختبارًا لثبات النفس، وخلق الأناة، والصبر، ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴾ الإكرام الأول في "فأكرمه" بمعنى أعطاه ما يكرم به من الجاه، والمال أو أصابه الله بنفع لا غضاضة فيه، و" نعَّمه" جعله في نعمه، أي طيب عيشٍ متلذذًا بما أعطاه، وأما قوله:" أكرمن" معناه جعله كريمًا سيدًا شريفًا، والقول مستعمل في حقيقته، وهو التكلم، والمعنى: يقول ربي أكرمن معتقدًا ذلك، والتقديم في "ربي" وبناء الخبر عليه في "أكرمن" أفاد تقوى الحكم، أي يقول ذلك جازمًا به غير متردد[2]

وقدم "إذا" وأكَّد بالنافي "ما" في قوله: ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾على نمط الأول في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴾ وقوله: "فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ " كناية عن القلة، والضيق، وفيه مقابلة بين قوله تعالى: "فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ " إذ هو كناية أيضًا عن السعة، والخفض، والدعة، وأوثرت صياغة المضارع في " فيقول" لإفادة تكرر ذلك القول، وتجدده كلما حصل مضمون الشرطين، والجملة جواب لأمَّا الثانية، والتقديم في " رَبِّي أَهَانَنِ" لقصد تقوى الحكم على نمط الأول أيضًا في الإكرام، وآثر التعبير بالتقتير في قوله تعالى "فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ" أهانه" تعليمًا للأدب معه – سبحانه– وصونًا لأهل الله عن هذه العبارة؛ لأن أكثرهم مضيق عليه في الدنيا، ولأن ترك الإكرام لا ينحصر في كونه إهانة، ولم يقل فأهانه.

وهكذا تبين أن مراد الآيات الكريمة تفصيل أحوال الإنسان الجاهل إلى حالة في الخفض، والدعة وحالة في الضنك، والشدة فكان للتناسب أثر في

(١) مختار الصحاح ٧٣، ولسان العرب مادة (ب ل ا).

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٣٣٠/٣٠.

اصطفاء الشرط بـــ" أَمَّا " التي تفيد التوكيد، والتفصيل، الذى يدل على التقابل، والتوازن بين شيئين وهذا وجه التفصيل.

وأما وجه تناسب الآيات مع معنى التوكيد أنه لما قال الإنسان ربى أهانن، وربى أكرمن، وكان هذا القول صادرًا عن اعتقاد عنده – وهو أن التوسعة دليل الإكرام، والتقتير دليل الإهانة، وكلاهما فاسد؛ لأن كليهما اختبار للصبر، والشكر، فلمَّا لم يعِ الإنسان ذلك، وتوهم عكسه. ومقتضى ذلك اعتقاده أن أفعال الله – تعالى– جارية على غير حكمة، كان من المناسب اختيار أداة تدل على التوكيد، لتوكيد مضمون الكلام بعدها، وتزيل هذا الوهم، لذا نري في الآيات تتابع التوكيد بالنافي "ما"، وتقديم الاسم، وبناء الخبر عليه في قوله: "رَبِّي أَكْرَمَنِ" و "رَبِّي أَهَانَنِ" والردع عن كلا القولين في الآيات التالية بقوله: {كلا} في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ وأما عن وجه التناسب في اصطفاء أسلوب الشرط في الآية الكريمة، فإن ذكر المعنى في صورة شرطية، متضمنة معنى التفصيل يكسب المعنى شوقًا إلى ذكر ما سيكون، ويحرك الذهن إلى معرفة الجواب، حتى إذا أدركه، وقع منها موقع القبول، وتمكن المعنى في النفس فضل تمكن، ودلَّ على اهتمام المتكلم بذلك التفصيل، فأفاد تقوية الكلام، ودل على ارتباط الكلام ارتباط السبب بالمسبب(١).

(١) ينظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، رسالة دكتوراه، عبد العظيم المطعني ٢٠٨/١.

المطلب الخامس

التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء الأسلوب الخبري

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [1] ووجه تناسب الآيات الكريمة مع الآيات السابقة التي أكدت أن الله يرصد أعمال الناس، ويجازيهم عليها في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ ثم زجرهم لقلة اهتمامهم بأمر الآخرة، وبين قصور نظر الإنسان، وخطأه في اعتقاد أن التوسعة دليل على سعادة الدارين، وأن الإقتار دليل على شقاوتهما ، نبههم في قوله تعالي: على أنهم إن أكرمهم الله، فإنهم لم يُكرموا عبيده شحًا بالنعمة، ولم يحسنوا إلى المساكين، ويستحلوا ميراث الضعفاء، ويحرصوا على جمع المال بالطرق غير المشروعة[2] وكأن الله – تعالى– أراد أن يخبر بأن لهم فعلًا هو شر من قولهم في : ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾، ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ وهو أنه يكرمهم، فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم، فقال: ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾[3] هذا هو وجه تناسب الآيات مع سابقتها من سورة الفجر.

وأما وجه تناسبها مع آيات سورة البلد بعدها، فنجد أن هناك تناسبًا وتكاملًا بين السورتين، ففي سورة الفجر يقول المولى– عز وجل–: "كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ " الخ ردعًا وزجرًا لهم في عدم الإطعام أو الحض عليه وفى سورة البلد يقول المولى– عز وجل–: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[4] تحثهم الآيات

---

(١) سورة الفجر الآيات من ١٧ إلى ٢٠.

(٢) ينظر التحرير والتنوير٣٠/٣٣٢، ونظم الدرر٨/٤١٩، والتفسير المنير ٣٠/٢٣٠، وحدائق الروح والريحان ٣١/٤٠١-٤٠٢.

(٣) ينظر التفسير الكبير للرازي ٣١/١٥٧.

(٤) سورة البلد الآيات من ٦-١٦.

على الإطعام والتواصي باليتامى.

وقوله: "كلا" حرف ردع، وزجر لهم، و "بل" حرف إضراب انتقالي من قبيح إلى أقبح للترقي في ذمهم، ولا نافية، و"تكرمون" فعل مضارع، والواو فاعله واليتيم مفعوله(١) واليتيم: الصبى الذى مات أبوه، ويقال: اليتم في الناس من قِبَل الأب، وفي سائر الحيوانات من جهة الأم(٢)، والتعريف فيه للجنس أي: اليتيم، ولكن لما كانت المواجهة بالتوبيخ أوقع منه بالغيبة التفت النظم من ضمير الغيبة في "ابتلاه" إلى الخطاب في "تكرمون" على غير ما يتوقع السامع استدعاءً للإصغاء ولفتًا إلى قبيح فعلهم.

وتتحاضون: تتحاثون(٣) ونفى الحض على طعام المسكين في قوله: ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾ نفي لإطعامهم بطريق الأولى، وهى دلالة فحوى الخطاب، أي لقلة الاكتراث بالمساكين لا ينفعونهم ولو نفع وساطة. والمسكين قيل: الفقير، وقيل: هو الذى يملك ما لا يكفيه فالبدء باليتيم من دقة النظم، والترتيب بين المفردات المتشابهة، فلكون اليتيم أشد احتياجًا بدأ به، وقدمه على المسكين، وقد حصل في الآية الكريمة ما يسمى بالاحتباك(٤) "لأنهم لمَّا نفى إكرامهم اليتيم، وقوبل بنفي أن يحضوا على طعام المسكين، علم أنهم لا يحضون على إكرام أيتامهم، أي لا يحضون أولياء الأيتام علي ذلك، وعلم أنهم لا يطعمون المساكين من أموالهم.(٥)

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٢٣/٥.

(٢) مختار الصحاح للرازي مادة (ي ت م) ولسان العرب مادة (ي ت م).

(٣) لسان العرب مادة (ح ض ض).

(٤) الاحتباك: وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كل واحد منهما مقابله، لدلالة الآخر عليه، البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٢٩/٣.

(٥) التحرير والتنوير ٣٣٣/٣٠.

"والتراث": المال الموروث أي الذى يخلفه الرجل بعد موته لورثته[١] والتعبير بأكله علي الاستعارة[٢] التصريحية التبعية، حيث استعير الأكل للانتفاع به انتفاعًا لا يبقى منه شيئًا، وهو أبلغ من الحقيقة، حيث جسمت الاستعارة الانتفاع، وجعلته في صورة مرئية تشع بالحركة المتجددة المستوحاة من صياغة المضارعة في "وتأكلون" ويظهر في الآية الكريمة دقة نظم المفردات، وتناسب ترتيبها مع السياق حيث آثر لفظة "تأكلون" بدلًا من تستحلون أو غيره للدلالة على أن المراد بالتراث الذى لا حق لهم فيه، وكذا إيثار لفظ التراث دون المال؛ لأن المقصود مال من مات صاحبه[٣] واللمم: الجم، ووصف الأكل به في قوله: "أكلا لما" للمبالغة، أي أكلًا جامعًا مال الوارثين إلي مال الآكل كقوله –تعالى–: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [٤] ثم عطف قوله – تعالى–: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ على ما سبق للتوسط بين الكمالين مع وجود مناسبة، وهي الاتحاد في المسند إليه، وهو المجتمع الجاهلي المتظالم.

وأصل الجم: الكثير وهو مستعار للقوة والشدة على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، وفيه دلالة على حب المال، والحرص على اكتسابه حتى ولو بالوسائل غير المشروعة كالغصب، وأكل الأمانات، وأخرجت الاستعارة المعنوي إلى المحسوس بالكثرة العددية.

وبعد العرض السريع لمباحث البلاغة في الآيات، نستعرض أثر التناسب في اصطفاء الأسلوب الخبري المفيد للردع، والتنبيه علي الخطأ،

---

(١) لسان العرب مادة (و ر ث).

(٢) التحرير والتنوير ٣٣٤/٣٠.

(٣) التحرير والتنوير ٣٣٤/٣٠.

(٤) سورة النساء الآية ٢.

وهو من أغراض "كلا" التي نوه إليها الزجاج فيما نقله عن ابن يعيش[١] ووجه الدلالة علي هذا الغرض الذى اقتضاه السياق، والمقام أن قول الإنسان: "ربى أكرمن" عقب إكرام الله، وقوله: "ربى أهانن" بعد التقتير عليه، وجعل الرزق دلالة الإكرام في الدنيا، وجعل التقتير دلالة الإهانة فيها –قول باطل يستوجب التنبيه على الخطأ فيه، إذ ليست حالة الإنسان في الدنيا– من الرزق، والتقتير– مقياسًا لمنزلة العبد عند ربه، وفقر بعض العلماء، والصالحين، وغنى بعض الكفرة والطالحين – شاهد على ذلك، والمعنى في "كلا" ليس الأمر كذلك، وهذا التقدير يفيد أن" كلا" هنا تضمنت نفيًا ضمنيًا[٢] وإنما آثر النظم القرآني النفي بـــ "كلا" هنا؛ لأن النفي الصريح لا يدل إلا على مجرد النقض لمقولة الإنسان السابقة في قوله: {ربى أكرمن}، وقوله: {ربى أهانن} أما النفي الضمني فأفاد بالإضافة إلى النفي، ردعًا، وزجرًا، وقد نوه الرماني في معانيه إلى أن "كلا" تأتى على ضربين أحدهما ردًا ونفيًا[٣] وهو يقصد بالنفي، النفي الضمني، والرد أي الرد علي القائلين بالخطأ في مقالاتهم ردًا يتضمن ردعًا، وتوبيخًا، والمعنى أن لشأن الله في معاملته للناس في هذا العالم أسرارًا وعِلا لا يُحاط بها، وأن أهل الجهالة بمعزل عن

---

(١) شرح المفصل للزمخشري تأليف ابن يعيش تقديم/ إيميل بديع يعقوب ١٣٢/٥، الناشر دار الكتب العلمية ط١، ١٤٢٢هـــ.

(٢) النفي الضمني: عرفه أحمد سليمان ياقوت بقوله: "ما يفهم من الجملة دون أن ينص عليه حرف من حروف النفي" ينظر النواسخ الفعلية والحرفية دراسة تحليلية مقارنة، لأحمد سليمان ياقوت ص٢٠٩، دار المعارف، مصر ١٩٩٤م، ينظر معجم البلاغية العربية لبدوي طبانة، ص٦٤٨، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، دار ابن حزم ١٩٩٧.

(٣) معاني الحروف للرماني نقلًا عن كتاب كلا دلالاتها وموقعها في القرآن الكريم، محمد محمد عبد العليم ٨/١.

إدراك سرها بأقيسة وهمية، أما أهل العلم فهم يضعون الأشياء مواضعها، ويتوسمون التوسم المستند إلى الهدى.

وقد أجاز بعض العلماء الوقوف على "كلا" في هذه الآية الكريمة لإفادتها معني الرد، والنفي، والزجر، والتوبيخ لما سبقها[1] فللتناسب بين الآيات أثر في استدعاء الأسلوب الخبري المفيد للمعاني السابقة كما استدعى الحرف "بل" المفيد للإضراب الانتقالي ترقيًا في ذمهم من القبيح في القول: "فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ" إلى الأقبح في الفعل.

فنرى دقة النظم في انتظام الألفاظ، واتساقها كالدرر المنظوم، ومجيء "بل" بعد "كلا" أفاد تدرجًا في توبيخ الجهلة حيث تجاوز قبح الأقوال، إلى قبح الأفعال في قوله: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[2] وفي نظم ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ بعد "لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ" ترقيٌ آخر في توبيخهم حيث حذف مفعول "تحاضون" للعلم به كما ذكر المفسرون، والعلم به يقتضي تشنيعًا، وتشديدًا في توبيخهم، والمعنى: مالكم لا تحاضون على إطعام المسكين- قربةً لله تعالى- وقد علمتم بحاله، وقد أنعم عليكم بالنعم الكثيرة، وكذلك صياغة المضارعة التي شاعت في الآيات في "تكرمون، تحاضون، تأكلون، تحبون" الدالة علي التجدد، والاستمرار وهما بدورهما ينبئان عن إصرارهم، وعن سوء ما جلبوا عليه، وهكذا شاعت أوجه التوبيخ في الآيات

---

(١) ذكر الشريف الرضي في شرح الكافية: إنها كانت بمعنى "حقا" فلم يجز الوقف عليها؛ لأنها من تمام ما بعدها، ويجوز ذلك إذا كانت للردع لأنها ليست من تمام بعدها، وكان الفعل الذى من تمامه محذوفًا، لأن الحرف لا يستقل، شرح الرضي على الكافية ٤ /٤٧٩، ط١٣٨٩.

(٢) سورة الفجر الآيات من١٧ إلى ٢٠.

الكريمة بالأساليب الخبرية التي تجاوزت دلالاتها المعروفة في الفائدة، ولازمها، إلى دلالات وإيحاءات اقتضاها المقام، وكما قال الزمخشري: (وإنما يفيد الأسلوب الخبري التوبيخ، والتقريع، لأنه إخبار المتكلم بما هو عالم بفائدته توبيخًا، وتقريعًا)[1].

(١) الكشاف٢/١٤١.

المطلب السادس

التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب الشرط بـــ " إذا "

قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾[1] ووجه مناسبة الآيات لقوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ ... الخ [2]هو أن السياق فيها هادٍ إلى أن التقدير يحسبون أن ذلك يوفر أموالهم، ويحسن أحوالهم، ويصلح بالهم، فزجروا عنه بمجامع الزجر بقوله تعالى: " كلا" أي ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر[3] تنبيهًا لهم على بطلان أفعالهم ثم استأنف ذكر ما يوجب ندمهم، ويعرفهم أن حبَّ المال لا يقتضي نموه، ولو اقتضى نموه، ما اقتضى إيجابه للسعادة فقال: "إذا دكت الأرض".

وأما وجه تناسبه للآيات في أول السورة في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾[4]أن هذه الآيات تضمنت تهديدًا بعذابات الدنيا، وجاء قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾استئنافًا بطريق الوعيد للردع بـــ" كلا" وانتقالًا به إلى الوعيد بعذاب الأخرة بتفصيل أهواله، والمعنى: إن استخفوا بما حلَّ بالأمم قبلهم أو أمهلوا، فأخَّر عنهم العذاب في الدنيا فإن عذابًا لا محيص لهم ينتظرهم يوم القيامة، حيث يتذكرون قسرًا، فلا ينفعهم التذكر ويندمون ولات ساعة مندم والمقصود من هذا الكلام هو قوله: " فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ"" وقوله: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ وأما ما سبق من قوله : ﴿ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا

---

(١) سورة الفجر الآيات من ٢١-٢٣.

(٢) سورة الفجر الآيات من١٧-٢٠.

(٣) نظم الدرر٨/٤٢٠.

(٤) سورة الفجر الآيات من٦-١٤.

دَكًّا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٖ ﴾فهو توطئة، وتشويق لسماع ما يجيء بعده، وتهويل لشأن يوم القيامة عن طريق تفصيل ما يحدث فيه من أهوال(١).

وبدأ ذكر الأحداث بأسلوب الشرط، الذي أداته "إذا"؛ للدلالة علي تحقيق وقوع دك الأرض، وما عطف عليه في المستقبل، وتخير أداة الشرط "إذا" لتناسب المعنى والسياق إذ هو مقام تهديد، ووعيد بأحداث مستقبلية لم تقع بعد والمتحقق الوقوع كالواقع، وهذا أشد تخويفًا وتهديدًا للسامع، وصياغة الماضي في الفعل "دكت" يتناسب مع الأداة، أما بناؤه للمجهول للتركيز علي الحدث الأجل الذى هو المحور في مقام التهديد، مع العلم بالفاعل لاختصاص الفعل به، ثم صيغت المعطوفات علي دك الأرض بالبناء للفاعل لقصد التناسب المعنوي علي طريق المجاز، وسيأتي في موضعه.

وأول هذه الأهوال دك الأرض، والدك: الهدم، والتسوية للشيء المرتفع وأرض دكاء مسواة، سهلة لينة(٢)، والمعنى: حصل دكها ورجها وزلزلتها لتسويتها(٣)، وفيه قولان: الأول: يجوز أن تكون (دكًا) الأولى مفعولًا مطلقًا مؤكدًا لعامله وكونه خارقًا للعادة اقتضى تحقيق وقوعه حقيقة بلا مجاز ولا مبالغة، وأما (دكًا) الثانية فهي توكيد لفظي للأولى لزياده تحقيق إرادة مدلوله؛ لأن دك الأرض من الأمور العظيمة، فلغرابته اقتضى إثباته زيادة تحقيق لمعناه الحقيقي، والثاني: يجوز أن يكون مجموع المصدرين معًا في تأويل مفرد منصوبًا على المفعول المطلق المبين للنوع أي: دكًا بعد دك، فالدك

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٠/٣٣٥..

(٢) لسان العرب مادة (د ك ك)، ينظر المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص١٧١، طبعة دار المعرفة، بيروت.

(٣) نظم الدرر ٨/٤٢٠.

على كلا القولين حقيقة لا مجاز فيها[١]، ويجوز أن يكون الدك كناية عن التسوية، لأن التسوية من لوازم الدك، والمعنى: صارت الجبال مع الأرض مستويات لم يبقَ فيها نتوء.[٢]

ولما دلت التسوية على مجيء أمر عظيم كما هو الحال في الدنيا قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ بالعطف على ما سبق للتوسط بين الكمالين، وإسناد المجيء إلى الله تعالى، إما على سبيل المجاز العقلي أي: جاء قضاؤه، وإما على سبيل الاستعارة بتشبيه حسابه تعالى بالمجيء علي طريق التصريحية التبعية، وجعله البقاعي تمثيلًا لظهور آيات اقتداره سبحانه وتعالى، وتبيين آثار قدرته وقهره وسلطانه بحال الملك إذا حضر بنفسه فظهر بحضوره من آثار الهيبة، والسياسة ما لا يظهر بظهور عساكره كلها خالية عنه.[٣]

أما مجيء الملك فحقيقة، والتعريف فيه للجنس أي: الملائكة، وتكرار صفًا للترتيب أي صف بعد صف، وقيل هو تنبيه علي صرف المجيء عن حقيقته، وإرشاد إلى ما ذكر من التمثيل في قوله : "**وجاء ربك**"[٤]، ولما كانت جهنم لا تأتي بذاتها؛ لأنها لو أتت بنفسها لربما ظن أنها خارجة عن القدرة بل تقودها الملائكة قال: "وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ"، وقد ذكر العلماء فيه وجهين الأول: أنه حقيقي لما ورد من حديث مسلم عن ابن مسعود قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– " يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٣٦/٣٠، والكشاف ٧٣٩/٤.

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٣٣٧/٣٠ .

(٣) نظم الدرر ٤٢١/٨.

(٤) ينظر نظم الدرر ٤١٢/٨.

سبعون ألف ملك يجرونها"[1]، والثاني: أنه مجاز عن إظهارها، والمعنى: أظهرت لهم جهنم قال تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾[2] وبناء الفعل للمجهول مناسب لمقام التهديد، والوعيد للمقصرين في حق اليتامى، والمساكين وآكلي الميراث، والمهول هو نفس المجيء بها وليس تعيين الفاعلين، فكلما عالجت الملائكة جهنم ذهابًا وإيابًا حصل الهول للناس ما لا يعلمه إلا المولى سبحانه وتعالى.

ولما كان ذكر هذه الأهوال سابقة الذكر من دك الأرض، ومجيء الرب والملائكة، ومجيء جهنم جديرًا بأن يعتبر بها كل سامع قال: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ ، و(يومئذ) الأول متعلق بفعل "جيء" والتقدير: وجيء يوم تدك الأرض دكًا إلى آخره، و (يومئذ) الثاني بدل من "إذا دكت الأرض" والمعنى: يوم تدك الأرض دكًا إلى آخره يتذكر الإنسان، والعامل في البدل والمبدل منه فعل (يتذكر)، وتقديمه للاهتمام وإفادة التشويق بالإجمال، ثم التفصيل علي طريق الإطناب .

وفي الآية الكريمة خروج عن مقتضى الظاهر بوضع المظهر موضع المجمل حيث ذكر الإنسان وقد سبق ذكره في قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ وإنما أظهر لبعد معاد الضمير، ولما كان دك الأرض، ومجيء الرب – تعالى–، ومجيء جهنم، أهوالًا عظيمة، وهي جديرة بأن يتعظ بها السامع في الوقت المشار إليه بقوله: "يومئذ" أي: وقت وقوع هذه الأهوال، ورؤية ما

---

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، وأهلها، باب: في شدة حر جهنم ١٨٤/٤، طبعة دار إحياء التراث العربي– بيروت.

(٢) سورة النازعات آية ٣٦.

أعده الله للمؤمنين، وما أعده الله للكافرين، قال تعالى: "يتذكر الإنسان" بصيغة المضارع الدالة على التجدد و الاستمرار، أي: يتذكر عمله في الدنيا، ويعلم أن حبه للمال لن يزيده إلا خسارة، وأن بذله لم ينقصه شيئًا، وإذا علم ذلك هان عليه بذل المال، واتعظ ، ولكن لما كان ذلك في الآخرة، وهي ليست دار عمل، فلن تنفعه هذه الذكرى، قال تعالى نافيًا ومنكرًا بصيغة الاستفهام "وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى" والكلام على حذف مضاف تقديره: وأين له نفع الذكرى(١)، فإنه تذكر في غير موضعه لا ينتهى به إلا إلى الندم على ما قصَّر، وفات.

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٣٩/٣٠، ونظم الدرر٤٢٢/٨.

المطلب السابع

التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب التمني

قال تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾[1] ووجه تناسبه مع الآيات السابقة التي عرضت ندم الكافر على ما فاته من أعمال في الدنيا، ولما كان الندم يستلزم من الإنسان، أن يستدرك ما فاته بيَّن الله تعالى أنه ليس هناك عمل، فقط إظهار الندم – فاستأنف بقوله: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ مفصولًا عما قبله لشبه كمال الاتصال؛ إذ أثار قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ سؤالًا مقدرًا تقديره: ماذا يقول عند تذكره؟ قيل: يقول: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾، وقوله إما أن يكون قولًا باللسان على سبيل التحسر والندم فتكون الجملة حالًا من الإنسان، أو بدل اشتمال من جملة يتذكر، ويجوز أن يكون قوله حاصلًا في نفسه فتكون الجملة بيانًا من جملة يتذكر.

وصِيغَ التمني بـــ (ليت) مسبوقا بـــ "الياء" للنداء لقصد التنبيه على مدى ألمه، ومعاناته، وشدة حسرته علي متمناه الذى فاته وقت أن كان مختارًا في الحياة الفانية، وإظهار شدة ندمه وقت ملاقاة العذاب، وكأنه يستنجد بمن يغيثه منه، مع علمه باستحالة ذلك إلا أن عِظَم الأهوال تسبب في اضطرابه؛ فدفعه إلى قول ذلك، وأضافه إلى نفسه ليوحي بأن هذا هو متمناه الرئيس في هذه الأوقات، وهذا من تناسب اللفظ مع المعني، والسياق الذى شاع فيه التخويف، والتهويل بعرض مسلسل لأحداث مهولة.

ثم جاء الحذف في مفعول "قدمت" إيجازًا لضيق المقام، وهذا من التناسب أيضًا، أو للعلم به بدلالة السياق في الآيات السابقة في قوله: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا

(١) سورة الفجر الآيات من ٢٣إلى ٢٦.

﴿ لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[١] والفاء في قوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ رابطة لوقوع الجملة موقع جواب الشرط "إذا". واختلف في (لا يعذب)، و(لا يوثق) فقرأ يعقوب، والكسائي بفتح الذال، والثاء، وقرا الباقون بكسرهما[٢] ، فمن فتح الذال والثاء فعلى البناء للمفعول والنائب "أحدٌ"، والمعنى: لا يعذب أحد مثل عذاب ما يعذب به ذلك الإنسان المتحسر يومئذ، ولا يوثق أحد مثل وثاقه، و(أحد) هنا بمنزلة أحدًا في قوله تعالى: ﴿ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣] ، وقراءة الكسر على البناء للفاعل و(أحد) فاعل، والضمير في عذابه ووثاقه عائد إلى الإنسان، والإضافة فيه من إضافة المصدر إلى مفعوله، وعلى هذه القراءة تكون الإضافة على معنى التشبيه البليغ المبين للمقدار أي: عذاب مثل عذابه أو عذاب لا نظير له في أصناف عذاب المعذبين، وكذلك النصب والإضافة في وثاقه على معنى التشبيه البليغ، وبين "يوثق، وثاقه" و"يعذب وعذابه "جناس اشتقاق.

وبعد فقد عرضت الآيات الكريمة عدة حقائق عن أهوال يوم القيامة، وأشراطه المهولة تهديدًا، ووعيدًا لهم وصاغ النظم هذه المعاني بأسلوب الشرط في مقام التهديد والوعيد لهذا الإنسان الكافر الظالم، وهي من الأخبار بما يستقبل من الزمان من الغيبيات التي وقعت في علم الله أزلًا، فناسب ذلك صياغتها على أسلوب الشرط المفيد للتحقيق، وجاء نظم فعله على صياغة الماضي تناسبًا مع الأداة، وهو أدخل في التخويف، والتهديد، والوعيد فجاء أسلوب الشرط في غاية البلاغة ومنتهى الفصاحة متلائمًا مع الفكر الرئيسة للسورة الكريمة وأغراضها.

---

(١) سورة الفجر من الآيات من ١٧الي٢٠.

(٢) ينظر النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري، ٢/٤٠٠، تح/ علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية نشر المطبعة التجارية الكبرى.

(٣) سورة المائدة آية ١١٥.

المطلب الثامن

التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب النداء

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [1]، ومناسبة الآيات لما سبقها في قوله: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ .... الآيات [2] أنها استوعبت ما اقتضاه المقام من الوعيد، والإنذار، والتهديد، فختم الكلام بالبشارة للمؤمنين الذين تذكروا بالقرآن، واتبعوا أوامر الله على عادة القرآن الكريم في تعقيب النذارة بالبشارة والعكس ترغيبًا في فعل الخير وترهيبا من أفعال الشر[3]، وقيل: أنه لما ذكر في الآيات السابقة جزاءَ من لا يحسنون الأقوال والأفعال، ومعلوم أن من الناس من ليس كذلك أثار في النفوس شوقًا إلي معرفة جزاءهم فشفى هذا التشويق بقوله: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾[4]، واتصال هذه الآية الكريمة بالآيات قبلها في التلاوة، وكتابة المصحف الأصل فيه أن تكون نزلت معها نسق واحد ويلزم على ذلك أن يكون هذا القول في الآخرة يوم الجزاء فيكون مقولًا لقول محذوف هو جواب إذا في قوله: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾، والتقدير: يقول الله تعالى للمؤمن يوم القيامة إما بنفسه، أو على لسان الملائكة، فإن كان من مقول الله – تعالى – ففيه خروج للكلام عن مقتضى الظاهر بالإظهار في (ربك) في موضع الإضمار يرجع سره البلاغي إلى أن الإظهار بوصف الرب يدل علي الولاء، والاختصاص، بالإضافة إلي التشريف الحاصل بتعريف الإضافة إلي

---

(١) سورة الفجر الآيات من ٢٧ إلى٣٠.

(٢) سورة الفجر الآيات من ٢١ إلى ٢٦ .

(٣) ينظر التحرير والتنوير٣٠/٣٤٠.

(٤) ينظر نظم الدرر٨/٤٢٣.

ضمير النفس المخاطبة، وأما إن كان من مقول الملائكة فلا خروج عن مقتضى ظاهر الكلام (١) .

والرجوع إلى الله في قوله: "ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ" مستعار للكون في نعيم الجنة، التي هي دار الكرامة عند الله بمنزلة دار المضيف، كما في قوله تعالى: "فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ"(٢)، ويجوز أن تكون الآية الكريمة استئنافًا ابتدائيًا جرى علي مناسبة ذكر عذاب الإنسان المشرك في قوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾(٣)، فتكون الآيات خطابًا من الله تعالى لنفوس المؤمنين المطمئنة، "والمطمئنة": الراضية التي رضيت بما أعطيته من كرامة. وهو كناية عن إعطائها كل ما تطمح اليه، وفي الوصف بالمرضية زيادة في الثناء مع الكناية عن الزيادة في إفاضة الإنعام؛ لأن المرضي عنه يزيده الراضي من الهبات، والعطايا فوق ما رضي به هو. وفي الآية الكريمة إطناب طريقه التفصيل بعد الإجمال حيث أجمل البشرى في قوله: ﴿ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ ثم فصلها بقوله: ﴿ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾، وهو مناسب لمقام البشرى لتكرير إدخال السرور على أهل الجنة ، وكذلك في تكرير فعل (ادخلي) فلم يقل: فادخلي جنتي في عبادي مع الاهتمام بالدخول بخصوصه (٤) وفي الآية الكريمة التفات من أسلوب الغيبة في أول الآية إلى التكلم في قوله عبادي وجنتي تشريفًا للنفس المطمئنة (٥) بأن تكون من عباد الله

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٠/٣٤١.

(٢) سورة القمر آية ٥٥

(٣) سورة الفجر آية ٢٥ .

(٤) التحرير والتنوير ٣٠/٣٤٤.

(٥) ينظر التحرير والتنوير ٣٠/٣٤١.

الصالحين الذين هم أهل للإضافة إلى الله، وهكذا كان ختام سورة الفجر بنداء النفس المطمئنة تنبيهًا إلى أمر هو من الأهمية بما كان بأداة النداء "يا" التي اختصت بنداء البعيد للدلالة على بعد منزلتهم ودرجتهم الرفيعة عند خالقهم الذي تولى بذاته العلية – سبحانه وتعالى– نداءهم، أو أوكل أمر ذلك إلى ملائكته الكرام تشريفًا لهذه النفوس، وتوكيدًا لهذا التشريف بإضافتهم إليه – سبحانه – في الأفعال فادخلي، وجنتي، وعبادي فالآيات المتحدثة عن هذه النفس قد فاضت بمعاني التشريف، والتكريم ابتداءً بالنداء، والوصف بالاطمئنان، والتعريف في النفس، والوصف بالراضية، والمرضية. وبالموازنة بين حال الكافرين في الآيات السابقة التي شاع فيها التنكير، والبناء للمجهول فقد قوبل هنا بالتعريف، وهناك خوف، ووعيد وأماكن عدت للتعذيب وهنا بشارة، وتشريف وجنة الرضوان، وهناك وثاق يشد خوفًا من تفلت المعذب ، وهنا أريحية بأفعال أمر قصد فيها الوعد، والضمان، والفوز، وهناك بدأ الأهوال بكلا زجرًا، وردعًا لهم، وتنبيهًا على بطلان أقوالهم، وأفعالهم، وهنا بدأت بنداء رخي تنبيهًا إلى أمر عظيم وهناك تتوق جهنم إليهم فيؤتى بها لهم، وهنا ينضمون إلى عباد مكرمين ليتنعموا بدخول جنة المولى سبحانه وتعالى، واختتام السورة بهذه الآية الكريمة يتناسب مع أولها على ما هو ظاهر المقسم عليه بالفجر من البعث المختوم الذي لولاه لكان خلق الخلق من العبث المذموم المنزه عنه الحي القيوم فإذا كان الفجر يوحي بمعاني النور، والخير، فإنه يتناسب مع الختام الذي يشتمل على البشارة بأفضل الجنان[1]

(١) ينظر نظم الدرر٨/٤٢٥.

خاتمة

الحمد لله رب العالمين، خالق الفجر والشفع والوتر والليل نعمة للمتدبرين ودليلًا على المنكرين والصلاة والسلام على سيد الخلق وخاتم المرسلين وعلى آله وأصحابه والتابعيين.

وبعد، فهذا عرض لبعض النتائج في ختام البحث منها:

- سورة الفجر من السور المكية علي الرأي المشهور وقد اتسمت السورة بالطابع الخاص للقرآن المكي، فقد شاع فيها أسلوب التوكيد والاعتناء بوسائل التقرير والتعريف وضرب الأمثال، والتشبيه والاستعارة إلي جانب القص الموجز لمشاهد القيامة، وحال المؤمنين والكافرين.
- عالجت السورة الكريمة بعض الأمور المتعلقة بالعقيدة، ومحور مقاصدها يدور حول الإيمان بالبعث، والخلود، والنشور، والحساب، وأقامت دليلًا قاطعًا على إمكان وقوعها، فالله القادر على خلق الإنسان من عدم قادر على بعثه وحسابه.
- إقسام المولى عز وجل ببعض مخلوقاته، لعظيم فوائدها الدينية والدنياوية بالإضافة إلي ارتباط الأقسام بمعنى وسياق السورة.
- بدأت السورة الكريمة بخمسة أقسام أولها الفجر الشاهد والمشهود على عظمة الخالق وقدرته كما ضمت إلي هذه الدلائل الكونية دلائل دنياوية بضرب المثل بعظماء الأرض قوم "عاد، وثمود، وفرعون" وبينت عاقبتهم بصورة موجزة ودقيقة تثبيتًا للمصطفي صلى الله عليه وسلم وتخويفًا لأعدائه.
- كما عالجت السورة بعض التصورات الخاطئة عند الإنسان في اعتقاده أن سعة الرزق دليل إكرام الله له في الأخرة وأن التقتير دليل الإهانة، وبينت أن ذلك بمعزل عن جزاء الآخرة وأن مثل هذه الأمور ابتلاء

للإنسان بالخير والشر ليُختبر في مدى صبره أو شكره.

- عرضت السورة بعض الآفات الاجتماعية في الدنيا مثل عدم إكرام اليتيم، وعدم الحث على إطعامه، وأكل الميراث، وحبَّ المال وبينت السورة أنها سبب لعدم إكرام الله لهم. ووضحت جزاء من يفعل ذلك بعرض أهوال الآخرة التي بعدها ينقسم الناس إلى فريقين، الفريق الكافر الذي يتحسّر علي ما فاته ويوثق بالأغلال وأصحاب النفوس المطمئنة وهم أهل البشرى بدخول جنة الله وعباده راضين ومرضيّعنهم ليأتي الختام بنداء رخي كما افتتحت بالفجر رمز النور والخير.
- تحقق في السورة الكريمة تناسب اللفظي مع المعني، والتناسب الصوتي بين الآيات بعضها ببعض، وبدا تلاحم النظم بالسياق حتى كانت الآيات كالكلمة الواحدة في اتساق معانيها، وانتظام مبانيها.
- الإيجاز البديع في السورة الكريمة حيث عرضت زمن ابتداء الدعوة وإنكار أصول التوحيد، والعقيدة في الدنيا حتى الحساب والجزاء في الأخرة وبيان مصير المؤمنين والكافرين.
- تعددت الأساليب التي اصطفاها التناسب البلاغي في الآيات، وأولها أسلوب القسم الذي يمثل براعة استهلال لمقاصد السورة، فكان القسم بالفجر كالغرة البارقة.
- ورد أسلوب الاستفهام في موضعين بالسورة لفتًا للوجدان إلى التفكير، والغوص في المواقف بحثًا عن الحقائق.
- جاء أسلوب التوكيد بـــ "إنَّ" في السورة الكريمة متآذرًا بالاستعارة ذا مذاق خاص؛ حيث قصد به توكيد معنيين متناقضين الوعد والوعيد.
- تنوعت أساليب الشرط في السورة بين "أما" المفيدة للتفصيل. و"إذا" في مقام تحقيق وقوع أهوال القيامة.

- تجاوز الأسلوب الخبري في السورة الكريمة دلالته المعروفة في الفائدة ولازمها إلى التوبيخ مسبوقة بحرف الزجر "كلا" في قوله: كلا بل لا تكرمون اليتيم....الخ.
- أضيف أسلوب التمني الذي أداته "ليت" إلى ضمير المتكلم مسبوقًا بـــ ياء النداء في موضع واحد للتنبيه على أهمية المتمنَّى مع وصف شدة الحسرة على فواته.
- ورد أسلوب النداء بـــ "الياء" المختصة بنداء البعيد للانتقال منه إلى بعد المنزلة في ختام السورة في مقام البشارة والترغيب في فعل الخيرات؛ فتناسب بداية السورة بالفجر الذي يوحي بمعاني النور والخير، وفيه وجه آخر للتناسب فالقسم في أول السورة من مقول المولى-عز وجل- والنداء أيضًا في الختام من مقولته على أحد الرأيين للإيحاء بأن بداية الخلق بيد الله ونهايته أيضًا.
- ولما كان التناسب البلاغي من أهم الأدوات الكاشفة عن أسرار إعجاز القرآن، ودقة نظمه المتآلف مع المعنى وله أثر في تخير الأساليب التي بُنيت عليها المعاني فإن الدراسة توصي بتتبعه في جميع سور القرآن الكريم.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم- ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م. نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، نشر دار الفكر ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٣- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، لعائشة بنت الشاطئ ط٣ دار المعارف.

٤- إعراب القرآن للنحاس، تعليق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط١- ١٤٢١هـ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب.

٥- أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف الخطيب، الناشر المطبعة المصرية، ط ٦ -١٣٨٣هـ -١٩٦٤م.

٦- الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، تح / محمد عبد المنعم خفاجي- دار الجيل بيروت لبنان.

٧- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح/ محمد أبو الفضل ابراهيم،ط١- ١٣٧٦-١٩٥٧، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى بابي الحلبي .

٨- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ،عبد المتعال الصعيدي، الناشر / مكتبة الآداب١٤١٧م-١٩٩٧هـ .

٩- التبيان في أيمان القران لابن قيم الجوزيه، تح/عبدالله بن سالم البطاطي، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، طبعة ١٤٢٩هـ.

١٠- والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، الدار التونسية ١٩٨٤م.

١١- تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت ط٣ ١٤٢٠هـ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، الدار التونسية ١٩٨٤م.

١٢- تفسير الماتريدي، تح/ مجدى باسلوم، نشر دار الكتب العلمية ط١ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٣- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، نشر دار الفكر المعاصر، دمشق ط٢، ١٤١٨ هـ.

١٤- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، تح/ أحمد محمد شاكر نشر/مؤسسة الرسالة ط١ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٥- الجنى الداني في حروف المعاني، لأبى محمد بدر الدين المرادي، تح/ فخر الدين قباوة وأخرين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط١ ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٦- حدائق الروح والريحان في روابي القرآن، والتحرير والتنوير.

١٧- خصائص التراكيب، أبو موسى، مكتبة وهبة ط٧ القاهرة.

١٨- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية د/عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة ط١ ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٩- درج الدرر في تفسير الآي والسور، الجرجاني، دراسة وتحقيق/ إياد عبد اللطيف وآخرون ،ط١ دار الحكمة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢٠- الدر المنثور لجلال الدين السيوطي، الناشر دار الفكر، بيروت.

٢١- دلالات التراكيب دراسة بلاغية، د محمد محمد أبو موسى ص٢٢٠، مكتبة وهبة ط٤ ١٤٢٩هـ - ١٩٩٢م.

٢٢- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر. لابن خلدون، تح/ خليل شحاده، دار الفكر بيروت ط٢ ١٤٠٨هـ.

٢٣- ديوان عمرو بن كلثوم، جمع وتحقيق إيميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط٢ ،١٤١٦هـ-١٩٩٦.

٢٤- زاد المسير إلى علم التفسير للإمام عبد الرحمن الجوزي، طباعة المكتب الإسلامي، بيروت- ط٢، ١٤٠٤هـ.
٢٥- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، الناشر دار الكتب ط١ ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٢٦- شرح الرضي على الكافية ، ط١٣٨٩.
٢٧- شرح المعلقات السبع للزوزني ، دار إحياء التراث، ط١ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٢٨- شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
٢٩- شرح المفصل للزمخشري تأليف ابن يعيش تقديم/إيميل بديع يعقوب، الناشر دار الكتب العلمية ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٠- الشريف الرضي في شرح الكافية.
٣١- صحيح ابن خزيمة ،تح /محمد مصطفى الأعظمي ،المكتبة الإسلامية، بيروت.
٣٢- صحيح مسلم، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.
٣٣- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٤م.
٣٤- عمدة الحافظ في تفسير أشرف الألفاظ ،لابن السمين، تح / محمد باسل عيون السود ،نشر دار الكتب العلمية ط١ ، ١٤١٣ .
٣٥- فتح الرحمن في كشف ما يلبس من القرآن، لزكريا أبو يحيي السنيكي، تح/ محمد علي الصابوني دار القرآن بيروت - لبنان ١٤٠٣-١٩٨٣
٣٦- الفروق اللغوية ،أبي هلال العسكري. تح/ محمد إبراهيم سليم، نشر دار العلم و الثقافة والتوزيع ، مصر-القاهرة.
٣٧- فتح القدير في تفسير القرآن لمحي الدين المقدسي العليمي الحنبلي، اعتنى به نور الدين طالب، دار النوادر، ط١ ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م..

٣٨- القاموس المحيط، للفيروز آبادى، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف/ محمد نعيم العرق سوسي، طبعه٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٣٩- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح /مهدي المخزومي وآخرون، نشر: دار الهلال.
٤٠- الكتاب لسيبويه تح/عبد السلام محمد هارون ط٣ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨.
٤١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، رتبه محمد عبد السلام .
٤٢- كلا دلالاتها وموقعها في القرآن الكريم ، محمد محمد عبد العليم.
٤٣- الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسين تح/ عدنان درويش، محمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة بيروت، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي، نشر المكتبة العلمية بيروت.
٤٤- لسان العرب لابن منظور،طبعة دار الحديث .
٤٥- المثل السائر في آدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير ،تح/ أحمد الحوفي، بدوى طبانة دار نهضة مصر.
٤٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيه، ٤٧٦، تح / عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ.
٤٧- مختار الصحاح، للرازي، تح/ يوسف الشيخ محمد، الناشر/المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت- صيدا، ط٥ ١٤٢٠ -١٣٣٣م. والقاموس المحيط، للفيروز أبادى ، مادة، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف/ محمد نعيم العرق سوسي، طبعه٨،

١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٤٨- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه د عدنان محمد زرزور -ط٢ ١٤١٩هـ دار القلم.

٤٩- مصابيح الدرر في تناسب آيات القران والسور عادل بن محمد، نشر الجامعة الإسلامية ١٤٢٥هـ.

٥٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي – نشر المكتبة العلمية- بيروت.

٥١- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي، دار النشر مكتبة العارف- الرياض ط١ ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٥٢- معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، تح/ أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

٥٣- المعجزة الكبرى لأبي زهرة، نشر دار الفكر العربي.

٥٤- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان، الناشرون بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

٥٥- المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، وآخرون، نشر دار الدعوة.

٥٦- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، تح/ مازن مبارك، محمد على حمد، الناشر/ دار الفكر دمشق، ط٦ ١٩٨٥م.

٥٧- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، طبعة دار المعرفة، بيروت.

٥٨- المقتضب للمبرد، تح/ محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

٥٩- الواضح في علوم القرآن، مصطفي ديب البغا، محي الدين مستو، نشر دار العلوم الإنسانية ،ط٢، ١٤١٨هـ ١٩٩٨ م .

٦٠- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري، تح / علي محمد الضباع نشر المطبعة التجارية الكبرى، دار الكتاب العلمية.
٦١- النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، إسماعيل الجناحي، طبعة دار الطباعة المحمدية القاهرة ط١ ١٤٠٣هـ.
٦٢- ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، نشر دار الكتاب الإسلامي .
٦٣- النواسخ الفعلية والحرفية دراسة تحليلية مقارنة، لأحمد سليمان ياقوت، دار المعارف، مصر ١٩٩٤م.

Sources and references

1- Al-Itqan fi Ulum al-Qur'an by Al-Suyuti, Tah/ Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim 1394 AH-1974 AD. Published by the Egyptian General Book Organization.

2- Adwa' al-Bayan fi clarifying the Qur'an with the Qur'an by Muhammad al-Amin bin Muhammad al-Mukhtar bin Abdul Qadir al-Shanqeeti, published by Dar al-Fikr 1415 AH-1995 AD.

3- The graphic miracle of the Qur'an and the issues of Ibn al-Azraq, by Aisha bint al-Shati, 3rd floor, Dar al-Maaref.

4- The Parsing of the Qur'an by Al-Nahhas , commentary by Abdel Moneim Khalil Ibrahim, 1st edition, 1421, publications of Muhammad Ali Beydoun, Dar al-Kutub.

5- Awdah al-Tafasir, Muhammad Muhammad Abdul Latif Al-Khatib, publisher of the Egyptian Press, 6th edition, 1383-1964.

6- Al-Idah in the Sciences of Rhetoric by Al-Qazwini, edited by / Muhammad Abdel Moneim Khafagy - Dar Al-Jeel Beirut, Lebanon.

7- Al-Burhan fi Ulum Al-Qur'an, Al-Zarkashi, edited by / Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 1st Edition 1376-1957, published by the House of Revival of Arabic Books, Issa Babi Al-Halabi.

8- Bughyat al-idah li Talkhis al-miftah in the sciences of rhetoric, Abdul Mutaal Al-Saidi, publisher / Library of Arts 1417-1997 AH.

9- Al-Tibyan fi Iman al-Qur'an by Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, edited by / Abdullah bin Salem Al-Batati, Islamic Fiqh Academy in Jeddah, edition 1429 AH.

10- Al-Tahrir and Al-Tanwir by Tahar Ben Ashour, Tunisian House, 1984.

11- Tafsir Al-Fakhr Al-Razi Keys to the Unseen, published

by Dar Ihya' al-Turath Al-Arabi Beirut, 3rd Edition, 1420 AH, and Liberation and Enlightenment by Taher bin Ashour, Tunisian House 1984 AD.

12- Tafsir Al-Maturidi, edited by / Magdy Basloum, published by Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st Edition, 1426 AH-2005 AD.

13- Al-Tafsir Al-Munir in Doctrine, Sharia and methodology, Dr. Wahba bin Mustafa Al-Zuhaili, published by Dar Al-Fikr Al-Muasram, Damascus, 2nd Edition, 1418 AH.

14- Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an by al-Tabari, edited by / Ahmed Muhammad Shaker, published / Al-Resala Foundation, 1st edition, 1420 AH-2000 AD.

15- Al-Jinna Al-Dani fi Haruf Al-Ma'ani , by Abu Muhammad Badr al-Din al-Muradi, edited by / Fakhr al-Din Qabawa and others, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 1st Edition, 1413 AH-1992 AD.

16- Hadayiq al-Ruwh wa al-Rayhan fi Rawabay al-Quran, wa al-Tahrir wa al-Tanwir.

17- Characteristics of compositions, Abu Musa, Wahba Library, 7th floor, Cairo.

18- Characteristics of Quranic expression and rhetorical features Dr. Abdul Azim Al-Muta'ni, Wahba Library, 1st Edition, 1413 AH-1992 AD.

19 - Daraj Al-Durar in the interpretation of the verse and the fence, Al-Jurjani, study and edition / Iyad Abdul Latif and others, 1st Edition Dar Al-Hikma 1429 AH-2008 AD.

20- Al-Durr Al-Manthoor by Jalal Al-Din Al-Suyuti, publisher Dar Al-Fikr, Beirut.

21- Semantics of Compositions, a rhetorical study, Dr. Muhammad Muhammad Abu Musa, p. 220, Wahba Library, 4th Edition, 1429 AH 1992 AD.

22- Diwan Al-Mubtada and Al-Khobar in the history of the Arabs and Berbers and their contemporaries of the greatest importance. Ibn Khaldun, Tah/ Khalil Shehadeh, Dar Al-Fikr Beirut, 2nd Edition, 1408 AH.
23- Diwan of Amr bin Kulthum, collected and edited by Emile Badie Yaqoub, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 2nd Edition, 1416 AH-1996.
24- Zad Al-Masir to the Science of Interpretation by Imam Abdul Rahman Al-Jawzi, Printing of the Islamic Office, Beirut - 2nd Edition, 1404 AH.
25- The secret of eloquence by Ibn Sinan Al-Khafaji, publisher Dar Al-Kutub, 1st edition, 1402 AH-1982 AD.
26- Sharh al-Radhi 'ala al-Kafi, 1389.
27- Explanation of the seven pendants of Al-Zawzani, Dar Ihya' al-Turath, 1st Edition 1423 AH-2002 AD.
28- Sharh al-Talkhis, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon.
29- Detailed explanation of Al-Zamakhshari written by Ibn Yaish presented by / Emile Badie Yaqoub, publisher Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st edition, 1422 AH.
30- Sharif Radhi in Sharh al-Kafyat.
31- Sahih Ibn Khuzaymah, edited by / Muhammad Mustafa Al-Adhami, Islamic Library, Beirut.
32- Sahih Muslim, edition of Dar Ihya' al-Turath Al-Arabi Beirut.
33- Elm Al-Ma'ani, Abdul Aziz Ateeq, Dar Al-Nahda, Beirut, 1974.
34 Omdat al-Hafiz in Tafsir Ashraf al-Alafaz, by Ibn al-Samin, edited by / Muhammad Basil eyes black, published Dar al-Kutub al-Ilmiyya 1st edition, 1413.
35- Fath al-Rahman fi Kashf al-Ma'an al-Qur'an, by Zakaria Abu Yahya al-Siniki, edited by / Muhammad Ali al-

Sabouni, Dar al-Qur'an, Beirut, Lebanon, 1403-1983.
36 - linguistic differences, Abu Hilal military. edited by / Mohamed Ibrahim Selim, publishing Dar Al-Ilm, Culture and Distribution, Egypt-Cairo.
37- Fath al-Qadeer fi Tafsir al-Qur'an by Muhyi al-Din al-Maqdisi al-Alimi al-Hanbali, taken care of by Nur al-Din Talib, Dar al-Nawader, 1st edition 1430 AH-2009 AD.
38- Al-Qamoos Al-Muhit , by Al-Fayrouz Abadi, edited by / Heritage Investigation Office at Al-Resala Foundation, supervised by Muhammad Naim Al-Arq Susi, 8th edition, 1426 AH-2005 AD.
39- Kitab al-Ain by al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi, edited by / Mahdi al-Makhzoumi and others, published: Dar al-Hilal.
40- Al-Kitab by Sibawayh edited by / Abdul Salam Muhammad Haroun 3rd Edition 1408 AH-1988.
41 – Al-kashaaf ean Haqayiq Ghawamid al-tanzil wa euyun al'aqawil fi wujuh al taawil , Zamakhshari, arranged by Muhammad Abd al-Salam.
42- Kalla its connotations and its position in the Holy Qur'an, Muhammad Muhammad Abd al-Alim.
43- Al-Kulliyyat Dictionary of terms and linguistic differences, Ayoub bin Musa Al-Hussein edited by / Adnan Darwish, Muhammad Al-Masri, published by Al-Resala Foundation Beirut, and the enlightening lamp in the strange explanation of the great, Ahmed Al-Fayoumi, publishing the Scientific Library Beirut.
44- Lisan al-Arab by Ibn al-Manzur, edition of Dar al-Hadith.
45 – The common proverb in the literature of the writer and poet, Ibn al-Atheer, edited by / Ahmed al-Hofi, Badawi Tabana Dar Nahdet Misr.

46- Al Muharir Al-Wajeez in Tafsir al-Kitab al-Aziz by Ibn Attia, 476, edited by / Abdul Salam Abdul Shafi Muhammad, publisher Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st edition, 1422 AH.
47- Mukhtar Al-Sahih, by Al-Razi, edited by / Youssef Sheikh Mohammed, Publisher / Modern Library, Model House, Beirut - Sidon, 5th Edition 1420-1333 AD. And the surrounding dictionary, by Al-Fayrouzabadi, article, edited by / al-Turath Tahqiq Office at Al-Resala Foundation, supervised by Muhammad Naim Al-Arq Susi, 8th edition, 1426 AH-2005 AD.
48- Introduction to Tafsir Al-Qur'an and its sciences - Dr. Adnan Muhammad Zarzour - 2nd Edition 1419 AH Dar Al-Qalam.
49- Masabih al-Durar in proportion to the verses of the Qur'an and the surahs, Adel bin Muhammad, published by the Islamic University 1425 AH.
50- Al-Misbah Al-Munir fi Ghareeb Al-Sharh Al-Kabir , Ahmed Al-Fayoumi - publishing the Scientific Library - Beirut.
51- masaeid alnazar to supervise the purposes of Surahs by Beqa'i, publishing house Al-Arif Library - Riyadh 1st Edition 1408 AH-1987 AD.
52- The Battle of Peers in the Miracle of the Qur'an by Al-Suyuti, Tah/ Ahmed Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1st Edition, 1988 AD.
53- The Great Miracle of Abu Zahra, published by Dar Al-Fikr Al-Arabi.
54- Dictionary of rhetorical terms and their development, Ahmed Matloob, Librairie du Liban, Publishers Beirut, 2nd Edition, 1993.
55- Al-Wasit Dictionary, Academy of the Arabic Language, Ibrahim Mustafa, Ahmed Al-Zayat, and others,

published by Dar Al-Dawah.
56- Mughni al-Labib on the books of Arabs by Ibn Hisham al-Ansari, edited by / Mazen Mubarak, Muhammad Ali Hamad, publisher / Dar al-Fikr Damascus, 6th edition 1985 AD.
57-Al-Mufradat fi Ghareeb Al-Qur'an , Ragheb Isfahani, edition of Dar Al-Maarifa, Beirut.
58- Al-Muqtatab al-Mubarrad, edited by / Muhammad Abd al-Khaliq 'Udaima, Alam al-Kutub, Beirut.
59- The clear in the sciences of the Qur'an, Mustafa Deeb al-Bagha, Muhyiddin Misto, published by Dar al-Humanities, 2nd edition, 1418 AH 1998 AD.
60- Rhetorical systems between theory and practice, Ismail Al-Janahi, edition of the Muhammadiyah Printing House, Cairo, 1st Edition, 1403 AH.
61- Nazm al-Durar fi Tansab al-Ayat wa al-Surah by Al-Buqa'i
, published by Dar al-Kitab al-Islami.
62- Publishing in the Ten Readings, Muhammad bin Muhammad bin Al-Jazari, edited by / Ali Muhammad Al-Dabaa Publishing the Great Commercial Press, Dar Al-Kitab Al-Ilmiyya.
63- Actual and Literal Transcription: A Comparative Analytical Study, by Ahmed Suleiman Yaqout, Dar Al-Maaref, Egypt, 1994.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١٢٨٦
المقدمة	١٢٨٩
التمهيد	١٢٩٤
مفهوم علم المناسبة	١٢٩٤
فضل علم المناسبة	١٢٩٥
مرجع المناسبة في فواتح الآيات وخواتمها	١٢٩٥
ارتباط علم المناسبة بعلم البلاغة	١٢٩٦
مفهوم الأساليب	١٢٩٦
مفهوم الاصطفاء	١٢٩٧
سورة الفجر سبب تسميتها وترتيبها وعدد آياتها ومقاصدها	١٢٩٧
المطلب الأول: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب القسم	١٢٩٩
المطلب الثاني: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب الاستفهام	١٣٠٧
المطلب الثالث: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب التوكيد	١٣٢١
المطلب الرابع: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب الشرط بـــ"أما"	١٣٢٦
المطلب الخامس: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء الأسلوب الخبري	١٣٣١
المطلب السادس: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب الشرط بـــ " إذا "	١٣٣٧
المطلب السابع: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب التمني	١٣٤٢
المطلب الثامن: التناسب البلاغي وأثره في اصطفاء أسلوب النداء	١٣٤٤
الخاتمة	١٣٤٧
فهرس المصادر والمراجع	١٣٥٠
فهرس الموضوعات	١٣٦٢